SALIM BARAKAT

رواية
NOVEL

سليم بركات

السلالم الرمليّة



السلالم الرمليّة / رواية عربيّة
سليم بركات / مؤلّف من سوريّة
الطبعة الأولى ، 2007



المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب 5460-11 ، هاتفاكس 751438 / 752308 1 00961
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب 9157 ، هاتف 5605432 6 00962 ، هاتفاكس 5685501 6 00962
e-mail : info@airpbooks.com
موقع الدار الألكترونيّ : www.airpbooks.com
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :

لوحة الغلاف : **رافال أولبنسكي / بولندة**
الصفّ الضوئيّ : **المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر**
التنفيذالطباعيّ : **مصطفى قانصو للطباعة والتجارة / بيروت ، لبنان**

ISBN 9953-36-970-4


NOVEL


سليم بركات
السلالم الرمليّة





Södermalm

«أأنتِ تبحثين عني؟» ، سأل الرجلُ الأنيق ، القَلِقُ العينين ، فتاةً من نَسْلِ الشرق الراكد في جرار المغول . بوغتتِ الفتاةُ الشاحبة قليلاً . رفعت وجهها المستدير إليه ، تتأمَّله بعينيها المختبئتين في صَدَف أجفانها ـ أجفانِ من يتَّقي الريحَ الخفيَّةَ فيُطبقُها .

«لا أبحث عنك» ، ردَّت باعتذارٍ لامعنى له ، فَحَادَ الرجلُ الأنيقُ عنها على عَجَلٍ . اعترضَ شخصاً آخر : «أأنتَ تبحث عني؟» ، فتجاهلَه الشخصُ الآخر .

عشرةُ أنفارٍ ، أو أكثر ، تجاهلوا سؤال الرجل الأنيق . حادوا عَنْه ، وأكملوا عبورهم إلى منابت الحظوظ في عالم الأعالي ، خارج نفق «سُوْدِرْمَالْمْ» ـ محطَّةِ الأَقفال المُهْمَلة .

خلا النفقُ لحظاتٍ إلاَّ من الرجل ذي السترةِ الجلدِ البُنيَّة ، الطويل الشعرِ حتى شحمتَيْ أذنيه . دار بعينيه القلقتين على رسوم الجدران ، التي أُنجزتْ على أنقاض رسوم قديمة : جمعٌ في عباءات من كل لونٍ . على كتف كل امرأة ، من ذلك الجمع ، كُرَةٌ متشقِّقة من بازلت أسود . في الشقوق قُصاصاتُ ورقٍ عالقةٌ ، منحشرةٌ حَشْراً كأنما أُدخلتْ إليها عنوةً بالأصابع ، وعليها حروفٌ مقلوبة ، أو متداخلة ، من لغة منسية .

أصداء خطوات كالقهقهة عَلَتْ ، رويداً رويداً ، في النفق ، بمجيء المُقبلِيْنَ إلى لقاء القطار القادم . وصل القطار المُبشِّر باعتراف الكمال بين يديِّ الوقت الكاهن . انزاحت الأبواب ، بانزلاقة غاضبة إلى جانب هيكله المديد . تنفَّست مقطوراتُه ، فهرعت الجموعُ خارجةً مع أنفاسها المعدنية ، ثم انتشرت . تقاطعت المعاطفُ والقبعاتُ خرائط ارتجلتِ المصادفةُ رَسْمَها بحنْكةِ التهوُّر . تبادلتِ الناسُ أعضاءَها على عَجَلٍ ، واستردَّتها على عَجَل ، منقسِمَةً على جبهات الأدراج الآلية ، في حروبٍ صامتة بلا قَتْل .

تحرَّكتِ الأدراجُ على جهتَيِّ النَّفق .

ساكنةً صعدتِ الأجسادُ ، بشفاعة الحركة الحالمة للعتلات الحالمة في الباطن المعدنيِّ ، إلى فوَّهات الكهوف .

«أأنت . . أأنتَ . .» ، ارتفعت كلماتُ الرجل الأنيق مستوقفاً البعضَ باعتراضهم ، فتجاهلوه ، أو هزوا رؤوسهم بلا جواب ، وأكملوا عبورهم إلى منابت الحظوظ في الأعالي ، خارج نفق ، «سُوْدِرْمَالِمْ» - نفقِ الأصفار المُخَادِعة .

خلا النفقُ من جديد . دار الرجل ، ذو العقد الرابع من العمر ، على نَفْسه بهبوب الحيرةِ عليها . زرَّر سترتَه الجلدَ ، النازلةَ حتى منتصف فخذيه ، فوق بنطاله الأسود الخشن . رفع يديه إلى رأسه فوزَّع شعرَه الرماديَّ بأناملَ مدرَّبةٍ ، على جانبي وجهه ، حين مرَّت من فوقه حمامة داخلةٌ من مكان ماً . حطت الحمامةُ قرب مقعد تلتقط من الأرض فضلات طعام أسْقَطها عابرون أكلوا شطائرَ خبزٍ بلا اكتراث بطعْمها . دخلت تحت المقعد . حدَّق إليها الرجلُ الأنيقُ : «أأنت تبحثين عني؟» ، ساءلها في صمت . خرجت الحمامةُ ، المتآكلةَ

اللون ، من تحت المقعد . نقرتِ البَلاطَ الصلبَ تلتقط ، من أعماقه ، بذوراً غذّاها سمادُ الصخب من عبور القطارات . تقدّم منها الرجلُ الأنيق ، فأسرعت مبتعدة بلا خوف . خلعَ الرجل فردةَ حذائه الأسود ، المفلطح المقدمة ، ورمى الحمامةَ بها ، فأخطأها . ارتفعت الحمامة ، على نحوٍ ساخر ، متراً ، ثم حطّت من جديد ، مسترسلةً في نَقْرِ البلاط الصلب . استعاد الرجل الأنيق فردةَ حذائه . جلس على المقعد وارتداها . تمتم : «ماذا تأكلين ، ياابنة النّدم؟» . انحنى إلى الأمام متكئاً بمرفقيه على فخذيه . جال بعينيه على الرسوم ـ الجدارية . «لن يقنعني أحد أن اسمي غير مدوَّن ، بهذه الحروف ، على قُصاصات الورق المحشورة في شقوق الكراتِ البازلت . أنا آبِيريْمْ» . نهض واقفاً . تطلَّع إلى جهَتيٍّ النفقِ ـ شقيقِ الباطن . هتف : «اسمي آبيريْمْ» ، فنظر إليه بعضُ القادمين لاقتناص القطارِ القادمِ ـ طريدةِ الصوتِ ذي القرون .

وصل القطار أنيقاً بأبوابه الخجولة في ارتدادها جانباً لينزل النازلون ، ويصعد الصاعدون . قطار جديد في الخدمة ، انعكست كُراتُ الرسوم الجدارية على زُرْقةِ طلائه كهمَسات تُرى .

سارع آبيريْمْ إلى اقتناص العابريْنَ يختارهم عشواءً لسؤاله النّصل : «أتبحث عني؟» . احتدمت كلماتُه ؛ تشاجرتْ ، بصداها ، مع العابريْن بلا اكتراث . هزَّ البعض رأسَه نافياً . هزَّ البعضُ رأسه استنكاراً ، أو استغراباً . وحدها ، امرأةٌ في عقدها الخامس ، شقراء نحيلة ، استدارتْ إليه متوقفةً . ابتسمتْ . وضعتْ صحيفةً مطويةً تحملها في يده ، وأكملت عبورَها . نظر آبيريم إلى الصحيفة في صمت . رفع عينيه يستجلي المرأةَ ، التي غابت في الحشد المرتفع ،

بطيئاً ، على الأدراج ، بشفاعة الحركة الأبدية في المعادن ، صوبَ المَخَارج ـ اليقين .

خَلَا النَّفق ، من جديد . عادت الحمامةُ الساحرةُ إلى تجوالها على الرصيف . لم تنقر فُتاتاً هنا أو هناك . استعرضت الرسومَ الجدارية ، بدورها ، مستغرقةً في عبثِ بقاءِ ذلك الجَمْع ثابتاً في قيود الخطوط واللون . طارتْ ، بغتةً ، صوب فضاء الرسوم فَصدمتِ الجدارَ . هوتْ أسفلَ الخندق ، على سكة عبور القطار دائخةً . نفضت عن ريشها رذاذَ الصدمة ، ثم حلَّقت إلى جهة الأدراج الآلية . ارتفعت خُطىً خولة لشخص واحد ، قادم بلا اتفاق مع المواعيد المضبوطة للأقدار على الجداول المُلْصَقة ـ بيقين الحساب وحراسته ـ على لوحات عيونٍ ترى بها الطُّرُقُ عِلَلَ وجودها المروَّض : شاب بدينٌ ، أسمر البَشْرة ، وضع حقيبتَه الرثة ، المفتوحة الفارغة ، على رصيف النفق . علَّق آلة أكورديون إلى كتفيه . مَطَّها فانفرج القماشُ طيَّاتٍ على طيَّات . تنشَّقت الآلةُ الهواءَ المخلَّل ملْءَ رئتيها ، ثم أطلقتْه زفيراً مرسوماً ، بعناية النَّغم ، على رمل الصوت . اجتمعتْ حقائقُ الصوت المهذَّبةُ ذرَّاتٍ لصق أخرى حيناً ، وذرَّاتٍ تناءت عن بعضٍ حيناً . خَفقَ الرملُ . تَذَرْذَرَ وتطايرَ . تماوجَ . رَكَدَ . تضرَّعت آلةُ الأكورديون إلى الهواء أن يعيرها أرقامه السبعة عشر ، أو نصفها . تقدم آبيريم من العازف : «ماتاريخ هذا النفق؟» ساءله .

لجم العازفُ آلَته . أخرسَها : «ماذا قلتَ؟» .

«ماتاريخ هذا النفق؟ . كرر آبيريم سؤاله بلسانٍ مُحْتدم قليلاً .

تأمَّله العازفُ برهةً . أجهدَ خيالَه في استقراء المعنى الحامض . نزع الأكورديون عن كتفيه . قيَّدها ، ثم وضعها في الحقيبة . أغلق

الحقيبةَ . حملها وغادر النفق .

قادمون جددٌ انحدروا على الأدراج الآلية ، من جهتيِّ النفق ، يتشمّمون ثمرةَ المواعيد الناضجة ، كالمندرين ، على شجرة الحساب . اكتأب آبيريم وهو يصغي إلى الثرثرات في الإعلانِ الضوئي عن القطار القادم . تكلم بلا اكتراث لِمَنْ جاوروه منتظرين في سكونٍ : «هناك مَنْ يبحث عني . هناك مَنْ سيخبرني شيئاً عن النبيِّ الجديد ، القادم إلى عشاء أبي يالُوْه» .



قوس الجليد على كتف جبل كاكُوْنتْ

رفع الستةُ الأنفار عيونَهم المغوليةَ ـ عيونَ النفير الكشّاف إلى الصقر النَيزك منقضاً على يمامةٍ في نقش السماء . صدمَها فدوَّخها فتقلَّبتْ أربع مرات قبل أن يلتقطَها ببراثنه مغميً عليها لن تستيقظ إلا في جُحرٍ حجريٍّ من منحدرات جبل كاكُوْنتْ الشاهقة . سيُغالبُها خَدَرُ الفكرة المتقوضة في خيال المستسْلم ، وستسمع ، وهي تُمزَّقُ ، زقزقة فراخ مهتاجيْنَ متعةً .

ابتسموا مفتوحي الأفواه ، واضعين أيديهم على قبّعاتهم الفراء المستديرة ، ممسكين بأيدٍ أخرى خُطُمَ جمالهم ذوات السَّنامين ، المجدولةَ من شرائط جلد الجاموس : كانوا ممتنين لطبائع القنص في السماء امتنانهم لطبائع القنص في البرِّ . خفضوا أبصارهم عن حدائق الأزرق العالية ، فسرَّحوها ، ثانيةً ، على سهوب العشب القزم ، مسفوحةً بُعْداً بَعْد آخر حتى أشداق الكهوف الجنوبية للجبل ذي الأكتاف الجليد .

تبادَلوا زقاً من خمرة حليب الخيل ، لاذعةً في الحلْق بكثافة كحولها . أخذ كلٌّ رشفةً من سُرَّة الزِّق . لمظوا شفاهَهم بألسنتهم مستمرئيْنَ السائلَ الحلوَ الحرِّيفَ ، ثم مرَّروا الزِّق مفتوحَ السُّرة تحت

مخاطم الجمالِ ذات الوبر الطويل ، الْمسَرَّح بأمشاطٍ من خشب العِضَاه . أنكرت الجمالُ الرائحةَ فضحكوا .

بأخفاف جِلْدٍ وطْأ الستةُ مدارجَ زهر البابونج ، النابت بلا أعناق ، ضئيل الحجْم ، منكمشاً من بقايا سُعار الشتاء الطويل الجاف ، الجليديّ ، في إقليم كَارُوْكْشِيْنْ ـ إقليم سُلالة شالِيْن شَاهْ التاسعة ، النبيهةِ في الرّسم بخمائر العُصْفر ممزوجاً بكَيلوس جرادة العَدَس ، على الحرير .

قطفوا بعضاً من زهور البابونج . فركوها بين راحاتهم الخشنةِ ـ راحاتِ أهلِ الريح . شمُّوها ، ثم مضغوها .

قدَّموا لجِمالهم ، وهم يقودونها مَشْياً ، أضاميمَ من ورق الخُبيز المعرَّشِ ـ ربيب بزور النوع الحجريّ . لقَّموا أنفسَهم رقائق من معدة الجاموس المجففة ، ورقائق من شحم سَنام الجَمل . طحنوا بأضراسهم زبيباً لم تُنْزَع منه النَّوى . حَيُّوا الريحَ الخفيفة ، الملثَّمةَ بزفيرٍ ضعيفٍ من رئتيِّ الثلج فوق جبل كاكُوْنتْ . أغمضوا عيونهم . ناموا ماشِيْن .

الربيعُ الجديد ، وليدُ الدورة الناقصة في خمائرِ أرضِ كاروكْشِينْ ، أنشدَ بلسانه المتعثر للسهوب تنويمةَ العشبِ الناقصِ نماءً . لكن ما مِنْ شكوى ترفعها الأرضُ إلى الجهات . شتاءٌ ، جافٌ ، طويل ، ينحسر ، على مضضٍ من مربِّيته الريح ، وبطشها القاهر ، عن السهوب بلا إتمام . يُبقي قوسَه معلَّقةً على كتفي جبل كاكونتْ ـ قوسَ الثلج المتجمِّد ، حتى يقظته التالية من قيلولةٍ هي صيفٌ وخريفٌ متآكلان ، مُرْتَثَّان ، مهترئان من رَكْلِ الغُبار لأيامها . الربيعُ الوليدُ ينتهزُ ، على عجلٍ ، فرصةَ حظوظه كلِّها باختزالٍ مؤدَّب : زهرٌ قصير . نباتٌ قصير . سُحُبٌ قصيرةٌ ، مجففة كالزبيب ، يطوِّقُها قُطْرٌ سماويٌّ أخضر . جروحٌ

قصيرة من الشقائق في السهوب ، تحيط ، أبداً ، بأوكار الثعالب البيضاء . طيرانٌ قصيرٌ لطيور القَبَج . شمسٌ قصيرةُ الشعاعات .

ربيع قصير يقف على أصابع قدميه المغوليتين كي يلتقط أقلَّ القليل من قِشْدة الدفء في طَسْتِ الله .

تشمَّم الستةُ الأنفارُ ، بأنوفهم المضغوطة بين وَجَناتهم العالية ، ثرثرات التخوم الأخيرة لسهوب كارُوْكْشِيْنْ على باب صحراء لُوْكْهِيْنَ .

Fridhemsplan

«البارحةُ خطأُ اليوم» ، قال الرجل النحيلُ نُوَاهِيْنْ . هو يعرف متى ينضج الهواءُ في الأنفاقَ ليأكله ، مُدخَّناً ، بأسنانِ الكلمات . وليمتُه تبدأ حين تعلن المحطات عن تأخُّر قطاراتها ؛ حين يُعلن له قلبُه المدقِّقُ في أرقام أعماقه أن محطة هنا ، أو هناك ، ستعلن عن تأخُّر قطاراتها . تتهيَّأ كلماتُه ، فتتهيَّأُ الأعطالُ الطارئةُ ، بحكمة المصادفة ، على حركة عبور العجلاتِ الحديد فوق السكك الحديد . وهاهو نواهيْنْ قد اعتلى منصَّتَه الصغيرة ، التي تُطوى وتُفْتَحُ وتُحمل بيُسْرٍ ، في منتصف الفاصل بين الأدراج الآلية الصاعدة والأدراج الآلية الهابطة ، متجهاً إلى الفسحة المديدة المواجهة للحائط ، الذي تقع على جهتيه سكَّتا قطارَيْنِ متعاكسيْن .

«البارحةُ خطأٌ مقصود من أخطاء هذا اليوم» ، قال نواهيْنْ للذين تجمعوا ، في فضول ، مستائين من التأخير المُعْلَن ثماني عشرة دقيقةً مهشَّمةً ، مطحونةً توابلَ في حساءٍ محترقٍ . فتح أزرارَ سترته المحشوة بريش في بطانتها . كانت منتفخةً على جسده النحيلِ ، كأنما ترمِّم التوازنَ المتضعضعَ في خيالِ الشكلِ . «الغد خطأٌ ، سهواً ، من أخطاء الغد الذي يليه . الزمن ، برمَّته ، خطأٌ في حسابٍ لن يتمَّ تصحيحه

إلاَّ بالنسيان» . فتح ذراعيه يستقبل أشباحاً هُرعت إليه من بوّابة كلماته : «لاتفهموني على نحو لا أريده ، ولا تريدون . قيلَ لي كثيراً إن الموتى يعاقبون الزمنَ . هل قيْل لكم ذلك؟» ، نقل بصرَه في الوجوه المبتسمة ، والمتأمِّلة ، والمكتفية بإصغاءِ لا فضولَ فيه . ضحكت أربع نساء محتشمات في معاطفهن الطويلة ، وخُمُرِهنَّ المطوّقة وجوههنَّ بصرامةٍ . أبدى نواهين مَرَحاً من عينيه تعقيباً على ضحكهنَّ : «أنتنَّ ، لا الموتى ، مَنْ يعاقبنَ الزمنَّ» . صفَّق بيديه : «أنتم الأحياء مَنْ يعاقبون الزمن . المسألةُ ، برمَّتها ، عِقْدٌ يمكن أن نلغيه . كلُّ عقْدٍ لا متوازنٌ . الألم ، وحده ، متوازنٌ» .

قاطعه شخصٌ من الجمع الصغير : «الزمنُ متوازنٌ ، أيضاً» .

صمت نواهين برهةً . نطقَ : «لذلك نعاقبه» ، قال ، فقاطعه الشخصُ ذاتُه : «كيف نعاقبُ الألم؟» .

«نتعهَّده بالرعايةّ» ، ردَّ نواهين من فوره . أردفَ : «نغذِّيه . نجعله زبدةَ صباحنا على الإفطار . نعلِّقه في حلقة مفاتيحنا» ، قال ، فارتفع صوتُ شخص جديد :

- أَرِنيه بين مفاتيحك .

تدخلت امرأةٌ في عقدها الخامس ، معتكرةُ المزاج في الأرجح : «هل الألم ذكرٌ أمْ أنثى ، أيها السيد؟» قالت متوجهةً إلى نواهين ، فأجابها شاب ملتح : «أنثى . إنني أنكحها كلَّ فجر» .

«كيف ذلك ، وَهو ينكحني صباحاً ، وظُهراً ، ولَيلاً؟» ، قالت المرأةُ تلك ، وهي تقضم تفاحة في يدها ، فقهقه الآخرون .

«لماذا تسألين ، إذاً عن جنْسه ، وهو في فراشك كل يوم؟» ، ساءلها الشاب الملتحي .

«ليس في فـراشي تحـديداً ، أيهـا الشـاب . إنه يفـعلهـا بي في المصـعـد ، وفي الحـديقـة ، وفي المَتْـجَـر ، وعلى الدرج الآلـي ، وفي القطار» ، قالت المرأةُ المعتكرةُ المزاجِ ، بصوتٍ خشنٍ .

«أرجـوكم . لا أريد سِـجـالاً . حين تصـعـدون قطاركم القـادم ، وتنسون أمرَ الدقائق الثماني عشرة هذه ، ستعرفون أنكم عاقبتم الزمنَ اليوم . لقـد قدَّمتم هباتِكم كاملةً لنفق «فرِدْهامْسْ بْلاَنْ» ـ نفقِ قلب البحر تحت أضلاع السماء اليمنى» ، قال نواهين . صَمَتَ ينقل عينيه بين العيون الأخرى ، ففاجأوه بتصفيقٍ لا متوقَّع .

وضع نواهين يديه في جيبَيْ سترَته قابضاً على الرِّضا ملأهما : «مَنْ أنتم؟» ، سأل هامساً ، فأتاه صوت بعيد قليلاً : «ماذا قلتَ؟» .

«من أنتم؟» ، قـال نواهين مـتلمِّـسـاً الفـراغَ بأنامل لسـانه . تناهى ضَحِكٌ من الجَمْع الصغير . ابتسمَ : «سـأريكم مـا لا تستطيعـون أن تحتملوه ، كي تعترفوا لي مَنْ أنتم» .

«اعتـرفي له» ، قـال الشـاب الملتحي مـتوجـهاً بإشـارة من يده إلى السيدة المعتكرة المزاج . أردفَ : «أنتِ ، مَنْ تحملين معك قضيبَ الألم إلى كل مكان ، اعترفي لهذا السيد المثير مَنْ تكونين» ، فقذفته المرأةُ ببقية تفَّاحتها المقضومة . أصابت شـخصاً آخر في كتفـه . احتدم الشخص الذي أُصِيبَ : «ماذا تفعلين؟» .

رفع نواهين ذراعيه عالياً يعترضُ المُماحكةَ الناشبةَ بلا إذنٍ منه . استدار إلى حائط النفق يميناً : «هل استشاركم أحدٌ في تغيير الرسوم الجدارية هنا؟ ماهذه السفن كلُّها؟ ماتفعل طيور الـ PUFFIN في نفق محطة فرِدْهامْسْ بْلاَنْ؟» .

رسـوم جـديدة هي التـي سلخَتْ ، بشـفـرات اللون ، جلودَ الرسـوم

القديمة ، عن جداريٍّ النفق الكبير . قضَمتْ لُبَّها . أفرغَتْها .

رسومٌ جديدةٌ أغرقتِ النَّفقَ بسُلطة جِدالها - جدالِ البراعة المُسلِّية : سفن كثيرة ذوات أشرعة ، صغيرة الحجوم في المشهد . سماء نقيَّة . بحر نقيٌّ . هدوءٌ مُبْتَذَلٌ . زُرْقةٌ مُدَخَّنة بخمول كثيرٍ صرَفَه مَنْ وَضَعَ الرسومَ كي يؤكِّد للعين جمالَ الخمول . لكنَّ طيورَ البَفَن - عرائسَ القطبِ المجتهد في تذكير الخيال بنَزَق إقليمه ، بدتْ ضخمةً باستوائها على خط الُبعد الأقرب من أبعاد المسافات المفترضَة عُمْقاً ، داخل جدار النفق . السفن ، في البعيد ، أصغر من مناقيرها المثلثة . السماء والبحر ، معاً ، مجفَّفان في حيِّزهما الضيِّق ، المتراجع أمام الرحابة المفرطة لحيِّز أجساد البَفَن ، الطائرةِ أو الواقفةِ على خطِّ البرزخ - نهاية التقاء الرسم ، على علوٍّ مترين ، بالفضاء الإسمنت المتروك نَهْباً لوساوس الرماديِّ : أسفلَ فضاء الإسمنت ثَمَّتَ الأرضُ الحصى والسكَّان الحديدُ . أسفلَ الأرض الحصى والسكتين ثَمَّتَ الظلامُ الكاتبُ ، يليه الظلامُ القارئُ ، الذي تليه - أسفلَ أسفلَ - جموعُ النفق منعكسةً في مرايا السَّحَرَةِ المفقودِيْن .

«كلَّما أرادَ رسامٌ أن يستهزىءَ بكم جَلَبَ البحرَ معه ، ونشرَهُ كملاءة على الجدران . البحرُ ضَعْفٌ في منطق الرسم ؛ ثرثرةٌ في منطق اللون . البحرُ قُمامةُ السماء يجمعها الرسامون في براميل خيالهم ، ثم يدلقونها علينا . البحرُ صدأٌ أزرقُ» ، قال نواهين . مدَّ ذراعه اليسرى في اتجاه الجَمْع : «أيحمل أحدكم زجاجةَ ماء؟ أعطوني زجاجةَ ماء» .

«أأنت عطشان؟» ، ساءله الشاب الملتحي ، فردت المرأةُ المعتكرةُ المزاج : «وجودُك يجفِّف الحنجرة . أنا عطشانة أيضاً» .

«لا . لا . لستُ عطشانَ . أردتُ أريكم ما يستطيع شخصٌ أن

يفعل بالمعجزة . الماء معجزة ، وأنا قادر على إهانتها بقُدْرةِ ساحر . أعطوني زجاجة ماء» ، قال نواهين بصوتٍ فيه لوعةٌ . «أعطوني طائراً من طيور الأعشاشِ الحجرِ هذه» ، قال بعد لحظةِ صمت . أردفَ : «أعطوني نَفقاً أوزِّغَةً بالأمتار على شعبي» . أغمض عينيه . حاول الخروج بنظامٍ للصور المتهارِشة ، كجراءٍ ، في خياله . «الأنفاقُ عنايةُ المعجزات الصغيرة بيتامى المعجزات الكبيرة . الأنفاقُ سطورٌ في آخر كتابةٍ دوّنها الآدميُّ . مامِنْ كتابةٍ أخرى بعد الآن .» ، قال نواهين مستريحاً إلى فكرته ، ثم صرخ : «أعطوني نَفَقاً» .

صفّق الجمعُ الصغيرُ . امتلأتْ رئتا نواهين بالأنفاس العجولة للأرقام على لوح المواعيد المتدلّي من قبة النفق . أضيئتْ حنجرتُه بالأرقام الضوئية موزَّعةً على حروف المصادفات . أُضيءَ لسانُه : «لا تنظروا إلى ساعاتكم . أخي آبيرم لا يحمل ساعةً» ، قال . رفع يده متسائلاً : «تعرفون أخي آبيرم . أليس كذلك؟ إنه يجمع البراهين في محطة سُوْدِرْمَالْمْ . يجمع لكم ما لن تستطيعوا غفراناً لأنفسكم على نسيانه : أملَ الأنبياء في العثور على نَفَق» .

صفّق الجمعُ الصغير . صفّق قلبُ نواهين : «عقولٌ متَّحدةٌ ، كثيرةٌ ، تسترسل الآن ، في تلفيق التتمات الناقصة . نظامُ التتمات الناقصة يوفِّر لنا الخروج من أزمة المُمْكن» .

قاطعه الجمعُ الصغير ، بالتصفيق .

«لستُ حالماً» ، قال نواهين بنبرةِ اللسان المنتصر .

توالى التصفيق بلا انقطاع . انحنى نواهين ممتنّاً : «الخيبةُ عِلْمٌ ؛ قانونٌ وقواعدُ» ، قال بصوتٍ ارتطم بشبكة الصخب . رفع يديه مهدِّئاً فلم تهدأ الأيدي .

انقلب التصفيقُ إيقاعاً . حَميَ الصوتُ الجارفُ حتى عرقتْ جبهة نواهين . فتح يديه وفمه متوسلاً برهةً يعيد بها سياقَ وجوده سيطرةً للسان على الأيدي .

تمادت الأيدي في التقاذف بكُرةِ التصفيق إلى كل اتجاه كطَلقات . نزفت جدرانُ النفق ، وقبةُ سقفه ، صدىً رطباً ثقيلاً زئبقاً .

تبلبلَ نواهين . أبدى استنكاراً بعينيه . جمع أصابعَه كُوزاً أمام الوجوه كي تتفضَّل عليه بمُهلة ، فجوْبِهَ بعصف صَخَب أشدّ .

تهدَّلت كتفا نواهين استسلاماً . انطبقتْ عليه مَحَاراتُ الحيرةِ التسعُ ، فانطبقَ يقينُ خطابه الناقص . رفع صوتَه بنداء استغاثة بلا كلمات . سحق التصفيقُ صوتَه سحقاً ؛ فتَّتَهُ ؛ نثرَه جافًّا قشوراً . سدَّ أذنيه بيديه . تكوَّم مقرفصاً فوق المنصَّة الصغيرة ، ذات المفاصل القابلة للنشر والطيّ بيُسْرٍ . بلغتْ دغدغاتُ التصفيقِ الخشنةُ عظمَ قَحْفه ، تحت فروة الرأس . صرَّتْ مخالبُ التصفيق إلى العظم . انحدرَ الصريرُ جليداً في نخاع فقراتِ ظهره القُطنية . تلوَّى نواهين . طوَّقَ بطنه بذراعيه كأنما يمنع أحشاءه أن تندلق . أطلق صرخة متواصلةً من حنجرته حتى انتفخت الأوردة من العنق حتى الجبين . اختنقت الحياةُ ، من حوله ، بنشيجٍ لا يُسمع . نهض واقفاً . خلع سترتَهُ ورمى الجمعَ بها . فتح الجمعُ ممرًّا للسترة فسقطت على رصيف النفق .

اشتد التصفيق المتواصل .

خلع نواهين فردتَيْ حذائه ، ورمى بهما الجمعَ . فتفادوهما . رماهم بسنين عمره الستِّ والثلاثين .

التهب التصفيق .

نزل نواهين عن منصَّته المفصلية الصغيرة . رفعها بيديه ورمى

الجمعَ بها . حادَ الجمعُ عن المنصة الطائرة فلم تُصب أحداً .

صعد الدخانُ من الأكفِّ الهاذية بتصفيقها .

جثا نواهين على الأرض . ركعَ . ضربَ بجبهته الرصيفَ مراراً . «نبيٌّ قـادمٌ إلى عَـشـاء أبي يالُوْه ، الليلةَ . سـيـراني منْهَكاً ، أيهـا المذعورون» .

غطى صوتُ القطار القادم ، مندفعاً بجناحين من موجِ مياهٍ ، على كل شيء .

مغيبٌ مُمَلَّح

«أين تعتقد أنهم دفنوا خصيتيك ، ياتَالْمَاجُوْرْ؟» ، قال تَاهْشِيْنْ ، ذو الغمازة الداكنة في جلد خدِّه ـ الجلدِ المنكمش من لَعْق الريح الباردة .

«لَمْ تُدْفنا . رما بهما الصِّبْيَان إلى الكُناسَة فتهارشت الكلابُ عليهما . ليتَهم ملَّحوهما كالشحم ، الذي تأكله ياتاهشين . كنتُ علَّقتهما قُرْطين في أُذنَيْ جَمَلي ، أو خلطتُهما لكَ بالزبيب في جِرَابك» ، ردَّ تالماجور الأعرج .

«انظرا إليَّ أيها الضَّبُعان . هنالك لقمة في فمي . لاتقرِّزاني» ، قال بِيغُوْن ، ذو الشاربين المتعلِّقين بزاويتَيْ فمه .

لم يكترث تاهشين لاستياء صاحبه بيغون . أكمل المساءلةَ : «ماذا فعلتَ حين جُبَّتْ خصيتاك؟» فردَّ تالماجور :

ـ لم أفعل شيئاً ، يالسانَ الطاووس . أُغمي عليَّ . لا . سُلَّت العروقُ من جسدي بملقط عِرْقاً عِرْقاً ، من صدغيَّ حتى عقبيْ قدميَّ ، كما يسحب الغرابُ الخَرَاطينَ ـ الديدانَ من خروم الأرض . أُفرِغَتْ عظامي من النِّقْي بسيخ حديد . مُشَّ النخاعُ من فِقَر ظهري بفم من نار . سُلِخَ شَغَافُ قلبيَ . جُوِّف قحفُ رأسي ومُلِئَ بخاراً مغلياً .

سقطت عيناي من محجريْهما . ذاب كل شيء . سَبحتُ في جمْرٍ أكلتُه كما تأكلُ ، أنتَ ، كبدَ الدجاجة ، وشربتُ الرمادَ كما تشرب ماءً . ليس عليك أن تسألني ـ إذاً ـ ماذا فعلتُ لحظةَ إخْصائيَ ، يالسانَ الطاووس ، بل اسألني ماذا فعلتُ قبل ذلك ، أو بعده .

«ماذا فعلت؟» سأله تاهشين .

«لم أفعل شيئاً قبل ذلك . سُدَّ فمي بحزام . قُيِّدتُ ، جالساً ، إلى عمود . طوى أبي ساقيَّ إلى صدري وقد دمعت عيناه . ربط الجزارُ خصيتيَّ بشريط ، واقتطعهما بالمِشْقَص خَلْساً» ، قال تالماجور الأعرج . مسحَ زاويتي فمه بيده الخشنة . استرسلَ : «لم أفعل شيئاً بعد ذلك . رأيتهم ، مَبْهوتاً ملجوماً من الألم ، ينثرون على موضع الجَبِّ ملحاً ممزوجاً بالكِلْس . كنتُ مستسلماً للأمل المغرورق العينين في عيني أبي ؛ أملِه في أن يسير بي إلى بلاط تِيغُوْتْكيْنْ شاهْ ، فينالَ بعملي عنده في دار الحريم ، حظوةً» ، قال تالماجور .

«ألا تحنُّ إلى خصيتيك؟» ، ساءله جَانْكُوْه الأمهق .

«أحنُّ؟ ماذا تعني بذلك؟ كنتُ صغيراً . لم أعد أتذكَّر أنني ملكتهما قطُّ . أتذكر الألم ولا أتذكرهما» ، رد تالماجور .

«وماذا عنك ياباكالْبا؟ خُصيْتَ بدورك» ، ساءله جانكوه ، الأكثر غرابة في لونه بأرض كارُوكْشيْنْ ، فردُّ الخصيُّ الآخر ، ذو الوجه المستدير الأجْرَد : «لم أرِدْهما ، على أية حال . ما الفائدةُ من خصيتين تتمايلان ، وتتقارعان ، في بنطالي ، كلما ركضتُ؟ رأيتُ في بَلاط تيغوتكين شاه ما لا يقدر حامل خصيتين أن يراه . أكلتُ مالم يأكله حاملُ خصيتين . تأملتُ ، مجرَّداً من براعة الصَّفن في تدبير المَأزق للكاملين مثلكم ، عقولاً تدخل وتخرج من بلاط تيغوتكين شاه

منكشفةً على خيالي كوجوهكم . كلَّمتني النساء ، عن أحوالهنَّ ، بما لا يكلِّمن به رَجلاً . من غير خصيتين يستطيع المرءُ تدريب الحِيَل على نقاءٍ مدهش ، وأن يتأوَّلَ الخُطَطَ بما يحتمل ظاهرها وباطنها . الخصيةُ حجابٌ لا يراه إلاَّ مثلي ، ومثل تالماجور» .

«كيف تعرف أنها حجاب ، ولم تبلغْ بخصيتيك سريرَ امرأة؟» ، ساءله جانكوه .

«مُذْ عرفتُ الرجالَ ، الذين لم يفقدوا خُصاهم» ، رد باكالبا .

قرع جانكوه الأمهق براحته على صدر معطفه الجلد متأسِّفاً : «ماذا فعلتْ بك أمك ، ياباكالبا؟ خصيةٌ واحدةٌ ، تعرقُ متعةً في سرير امرأة ، عندها من علوم أمثالك رِقاعٌ تُقرأ تسعة عشر جيلاً» ، قال ذو اللون المتدلِّي عِنَباً غريباً في دالية لون الإنسان .

أبدى بَالْبُوْرْ القصير ، المعروق جداً ، الضيق العينين جداً ، استياءً وهو يشدُّ خِطامَ جمله ليوقفه : «دعونا من الخُصى ، ياعقلاءَ الصُّدوع . في أعمارنا تذبلُ الخُصى كبعرة الماعز بين أرْجُل الخنفساء . كم هي أعمارُنا؟» ساءلهم بعينيه المختبئتين في ثَلْمَيْنِ معتميْن .

«أتريد معرفتها بدورات الشموس ، أم الأقمار؟ أمْ بعددِ الرياح المكتملة العزيف؟» ، ردَّ تاهشين .

«بأيِّ شيء ، إلاَّ بالتدرُّج الواضح لخُصاكم بين العافية الهاربة ، والذبول المُسيطر . أروني شيئاً آخر غير خُصاكم» ، قال بالبور ، فساءله بيْغُوْن :

ــ ماذا تَأْمَلُ أن نريك؟

«البئر الأولى في سهوب كاروكشين» ، قال بالبور .

«إنني أراها بعينيْ جَمَلي . كم غروباً قَطَعْنا من السهوب؟

خمسة ؛ ستةٌ؟» ، تساءل تالماجور الأعرج .

«بل أربعة» ، ردَّ بالبور مُحتدماً وقد توقَّف . «أرى خَلَلاً في سَيرنا إن كنتَ لا تعرف ، أيها الدليل تالماجور ، كم غروباً قَطَعْنا في سهوب كاروكشين» .

«لقد كبُر تالماجور ، يابالبور ، فاعذُرْه» ، قال تاهشين ذو القبعة اللَّبود .

«أنتَ دليلُنا ، أيضاً ، ياتاهشين . ألا ترى خللاً في سَيرنا؟» ، ساءله بالبور الغارق في معطفه الواسع ، فردَّ تاهشين بلسان المُراوغ العابث :

ـ لم أعبر السهوب صوبَ جبالَ كاكونتْ منذ سبع رياح مكتملة العزيف . كلَّما كَبُرَ الأدلاءُ ، وشاخوا ، يابالبور العزيز ، غَدتِ المسافةُ أكثر فتوَّةً : تتمطَّى ؛ تُضاعِف نَفْسَها ؛ يلدُ من الشِّبر الواحد خمسةُ أشبار .

«أتعني أننا على حافَّة تيه ، الآن؟» ساءله بالبور .

«ليس بَعدُ . ليس بعد . لم تَشخْ رئتَايَ . أشمُّ رائحةَ دلوٍ من جلد ، يابالبور» ، ردَّ تاهشين .

هزَّتِ الجِمالُ الستَّةُ رؤوسَها من وراء أكتاف السِّتة الأنفار . اجترَّت ، في ثقة بالقدَم المُعشِب ، وَرَقاً أزرق الْتَقَمَتْهُ من يد المغيب الجديد في سهوب كارُوْكْشِيْن .

Bagarmossen

«لماذا تحاولين أن تشبهيني ، ياعزيزتي سَارْها؟» ، قالت مِيرْيما مستنكرةً ، بكلمات عجولة ، متزاحمة . أردفت بلا توقُّف : «منذ أكثر من أربعين سنة!!!» .

لم تنطق سَارْها ، القصيرةُ الممتلئة . أبقتْ نظرها على اللوح المُضاء ، المُعْلِنِ ، في لغة ذهبية ، قدوم القطار . عادتْ ميريما ، المتجاوزة عقدَها الخامس ، إلى استنزاف الكلمات بشفرة لسانها العجول : «هل اشترينا من المَتْجَر كلَّ مانحتاجه للعشاء؟ دائماً ننسى شيئاً» .

تحسّستْ سَارْها الحقيبةَ المنتفخة ، المستطيلة ، ذات العجلتين ، بيدها : «أعليَّ أن أفتحها ، وأقارن ما فيها بالقائمة الطويلة لمُشْتَرياتنا ، ياميريما؟ لا أظننا نسينا شيئاً . لاتقلقي» ، قالت بصوتٍ هادىء انعكسَ رمادياً على شعرها الرماديِّ ، القصير ، المستسلم لحرية لونه .

«تحاولين أن تشبهيني بكل حركة فيك ؛ بكل أصباغ وجهك ؛ بتسريحة شعرك ؛ بثيابك» ، قالت ميريما ، ذات الشعر المفرط الحمرة من شدّة صبغته . مدت يدها إلى الحقيبة الواقفة على عجلتين . استخلصتْ مقبضَ الحقيبة من راحة سَارْها . «أظنُّك تعمّدتِ نسيان شيء ما من لوازم العشاءِ» ، قالت مُتَشكِّكةً .

في هدوء ، ودِعة ، أسلمتْ سارْها الحقيبةَ إلى ميريما ، التي رفعتْ عنها غطاءها ، وانكبَّت تستخرج أكياساً تصفُّها على مقعد لصق الجدار جلس عليه رجل أسود . نهض الرجل . وصل القطارُ . اندلقتْ من جوفه سطورُ الأحياء ، المدوَّنةُ بحروف الوجود المعتكرة المزاج . «ستفوتنا المقطورةُ» ، قالت سارها بصوتٍ خامل ، فردت ميريما ، وهي ماضيةٌ في استخراج ما امتلأ به جوفُ الحقيبة : «لن نغادر قبل أن أُحصي مااشتريناه ، وفق عدد الحوائج في القائمة . انظري» . رفعت ورقة مستطيلة إلى وجه سارْها : «سبع وعشرون مادة مدوَّنة هنا . عُدِّي ، أنتِ ، ما أضعه على المقعد» . رمقتْها : «لن أغادر حتى أتأكد ياسارْها ، ولو استغرقني الوقتُ ففاتني آخرُ قطار يعبر نفق باغِرْمُوْسِنْ» .

لم تبدِ سارْها تعقيباً . بدأت تُحصي الأكياس ، واللفائفَ : خضارٌ ، أجبان ؛ خبز ؛ مناديلُ ورق ؛ لحومٌ شتى ؛ مثلَّجاتٌ من قشْدَة حلوى . توقفت ميريما : «شيءٌ من التبرُّج في وجهك لا يشبه تبرُّجي اليوم» ، قالت مقتربة بوجهها من وجه صاحبتها الكسولة العينين ، فردت سارْها : «ستجعلينني أُخطىء العدَّ ، ياميريما» .

«أخطئي العدَّ . ستتعمَّديْن أن تخطئي العدَّ ، ياضرَّتي العجوز» ، قالت ميريما .

«أنا أصغر منك بسنتين ، ياميريما . أنا في الثالثة والخمسين» ، ردت سارْها في هدوء .

«لو لم تكوني في الثالثة والخمسين ، ماكنتُ في الخامسة والخمسين . أنت تجعلينني عجوزاً مُذْ صرتِ عجوزاً ياسارْها» ، قالت السريعةُ الكلام ، ذاتُ الشَّعر المتَّقِد حُمرةً .

نظرت إليــهــا ســارْها في كــسلٍ وديع . لـم تفــهـم في الأرجح مكاشفات ضَرَّتها . نطقتْ : «عزيزتي ميريما ، أنا لا أشبهكِ في شيء . لا أتشبَّه بكِ في شيء . أنا ممتلئة ، قصيرة ، وأنتِ طويلة ، معتدلة القوام . شعري قصير رماديٌّ ، وشعرك طويل ، أجعد ، أحمر . أنتِ سمراء ، وأنا بيضاء . أنفي أفطس قليلاً ، وأنفكِ مُحدَّبٌ قليلاً . لا أصباغ على وجهي غيرُ هذا الظلِّ الخفيف الزرقة على جفنيَّ العلويين ، أما وجهك فقوسُ قزح . لك خمسةُ أولاد ، ولي أربعة . تزوَّجتُ يَالْوْه بعدك بسنة» .

احتدمتْ ميريما : «لماذا تزوَّجتِ زوجي تحديداً ، ياسارها؟ . كانت تلك بدايةَ تشبُّهك بي ، قبل أربعين سنة . كنتُ صغيرةً فأغوَيْتِ يالُوهْ» .

«كنتُ أصغر منك ، لا أُحسنُ إغواءَ رجل . أنتِ حرَّضْتِه ، ياميريما . كنا صديقتين ، تتباهَيْنَ أمامه بامتلاكي أجملَ فخذين في أرخبيل بحرِ نُوْثاثيل ـ بحر ستوكهولم ، مدينةِ الظلِّ المُعلَّق . لماذا تباهيتِ ، طويلاً ، بفخذيَّ ، ياميريما؟» ، قالت سارها ، رافعةً بصرَها إلى اللوحِ النورانيِّ ، المنتعش بمديح الأرقام : «سيفوتُنا القطار القادم ، أيضاً» ، تمتمت مستسلمةً لخريفِ يديْ ضَرَّتها الماضيةِ في استخراج الأكياس ، واللفائف .

«إبدأيْ ضبْطَ المشتريات ، مادةً مادةً ، وفق القائمة . إبدأيْ» ، قالت ميريما ، فردت سارْها : «سأبدأ حين تعيدينها ، واحدةً واحدةً ، إلى الحقيبة» .

توقفت ميريما : «من صَنَع قائمة المشتريات؟» ، تساءلت ، فردت سارْها :

ـ الجميع : إشْمَانُو . هِيدْجيْرا . آكِيْلُوْنْ . بارْسِيْسْ . آبيرِم . نُواهين . يُوْشْ . لِيْداليا . سَالوْمِيَا . أولادك ، وأولادي ، ياميريما ، وزوجنا يَالُوهْ .

«أتظنين أنهم سيَحْضَرون العشاءَ جميعاً ، ياسَارها؟ إبني بـارسيسْ لن يكمل مَهمته اليوم . لم يأخذ كفايةً من السهام» ، قالت ميريما .

«إلى متى سيطارد ابنُك بارسيس ابني آكيلون؟» ، قالت سَارها بصوت قَدَريٍّ النبرة . فردت ميريما : «الإخوة ، وحدهم ، يعرفون ذلك ، ياسارهاً . نحن الأمهات سننتظر قدومهم إلى العشاء أشباحاً موتى ، أو أحياء . ينبغي أن يكون العشاء متْقَنَ التدبير ، مُحتالاً في نكهته ، فَخّاً ؛ أن يكون عشاءً لائقاً بنبيٍّ جائع منذ أربعة أيام» .

«نبيٌّ جائع منذ أربعة أيام لن يجد فَرقاً بين طعام نقصَ ملحُهُ ، أو زِيْدَ في ملحمه ، ياميريما . سيأكل الملعقةَ» ، قالت سارها .

أومأت ميريما بيدها إشارةَ بدء : «سأُعيد المُشتريات إلى الحقيبة . عُدِّي» ، قالت . لم تُبْدِ سارها تواصُلاً مع ضَرَّتها . صرفتْ عينيها إلى جدار النفق : «كيف سهوتُ عن هذه الرسوم ، ياميريما؟ ألاحظتِ أنهم غيَّروها؟ كَهَنةُ الأنفاق يسابقون الزمنَ ، هذه السنة . تغييرات ، وتغييرات فوق تغييرات» .

«كهنةُ الأنفاق؟!» ، ساءلتْها ميريما . «أيُّ كهنةٍ؟» ، أضافتْ ، فردتْ سارها :

ـ كهنة المدينة المُقَامِرةِ بالفصول ـ ستوكهولم . الأنفاقُ في عُهْدَتهم الآن .

« في عُهْدَةِ مَنْ كانتِ الأنفاقُ ، من قبل ، ياسارها؟» ، ساءلتها

ميريما ، فردت سارها :

ـ في عُهْدة العدّائين .

حوّلت ميريما بصرَها عن ضَرَّتها صوبَ الرسوم وقد ترامتْ كأنها ستُجاوزِ الجدرانَ إلى الأدراج ، فالبوّابة : كثبانٌ من الرمال مقسَّمةٌ بمقصات اللون الذهبي ، وشفرات الظلال . عقلٌ رملٌ يستعرضُ الأبعادَ مموّهةً في تدرُّجها بين سكون غناء ، وسكونِ نشيج . رملٌ خياطٌ . نحتٌ سائلٌ . عناقُ الأزليِّ للأزليِّ مَناراً على ركبتيه أمام الصدوعِ الكبيرةَ في سور نظامه . مكانسُ ظلالٌ تجمع قهقهاتِ الخالد من أزقّة النُّور ، بين الكثبان . مُنْحَنَياتٌ صغيرةٌ ترضَعُ الخفيَّ من أثداء المُنْحَنَيات الكبيرة . أمواجٌ مروَّضةٌ بِوَهَقِ السكون الدليل مصغياً إلى المهجور . وثمَّتَ ، في المستور الظاهرِ للكثبان ، ريحٌ قَلَقٌ تتهيَّأ ، بحذرٍ وحِرْصٍ عريْقَيْن ، كي تعيد اللونَ إلى معركتِه الأولى في مَزْجِ الأشكالِ ـ معركةِ الهباءِ الأنيق .

«أليست هذه الرسوم ثقيلةً على الحائط؟» ، تمتمت ميريما بلسانها العجول ، فحدَّقتْ سارها إلى قائمة المشتريات كي تبدأ إحصاءَ الحوائج : «الرملُ روحٌ . الأرواحُ خفيفةٌ عادةً» ، قالت .

«أظنك وَزَنْتِ روحَك على الميزان الضوئيِّ» ، قالت ميريما .

«روحي؟!!» ، غمغمتْ سارها متسائلةً باستغرابٍ ناعم . حكّت صدغها الأيمن :

ـ أهما جادّان ، أبيريم ونواهين ، في ما قالاه؟ .

«تعنين ماقالاه عن الضّيف؟» ، ساءلتها ميريما .

«سيدعوان نبيّاً إلى العَشاء . ذلك ماقالاه» ، تمتمت سارها .

«هما جادّان عادةً . سيحضَر نبيٌّ في الأرجح» ، ردت ميريما .

مدتْ يدها إلى يد سارها الممسكة بقائمة المشتريات : «إبدأي العَدَّ .
أحسُّ دغدغةً في باطن قدميَّ : إنه قضيب القطار القادم» ، قالت .
أعادتْ كيسين إلى الحقيبة . توقفتْ :
ـ ماذا يُشبِهُ أن نتناولَ العَشَاء مع نبيٍّ؟ .

خيالُ شحّاذ

أناخ الستةُ الأنفارُ جِمالَهم . خاطبوها بعلامات الصوت المرتَّبة نُظُماً في خيال الحيوان فتنوَّخَتْ . نزلوا عن البرادع الجلدِ ذوات الخروم النقوشِ . عقلوا سيقانَها المضمومةَ ، فوق مفاصل الَركبات . أطنبوا في الثناء على المجهول الحَصيفِ ، مبدِّدِ الشبهات عن المعلوم . رمَّموا حمدَهم الناقصَ للحياة ، في اليوم السادس من عبورهم سهوبَ كاروكشين ــ سهوبَ الشروقِ الأرضيِّ على الشمس . لمسوا بأيديهم الطوقَ الحجرَ حول البئر الأولى ، مجدِّدْينَ عهدَ الإنسانِ الأزليِّ لنبوَّة الماء .

كان الستةُ الأنفارُ ، وجِمالُهم الستةُ ذوات السنامين ، بكورةَ قوافل الربيع ، المتجهة إلى دساكر إقليم مُوْدَابُوْرْكْ ، وراء صحراء لُوكهين . حملوا معهم أجرِبةً من المسك ، والكافور ، والعنبر ، وحُقَّيْن أُحْكِمَ سَدُّهما ، يحويان حفنةً من شذور الذهب نقيَّةً ، ملتمسيْنَ أن يقايضوا بها بزور المعاني المدوَّنةِ حروفاً ، ورسوماً ، في رقاع العارفيْن هناك فيستنسخوها ، وأن يحصلوا على رقعة شطرنج وحجارتها .

لم يسقوا جمالهم من البئر الأولى إلاَّ سَقيا خفيفاً ، بالدلو الذي فكُّوه عن شَطَنِهِ ، وهي موثَّقةُ الرُّكبات . أنزل كلٌّ منهم خُرْجه وبرْدَعته

عن ظهر جمله . أراحوا الظهيرةَ من ثقل الصور في السرد الصامت للحيوان . أوقدوا ناراً من هشيم الشجر والنبات القديم . وضعوا في الجمر رقاقةً من حجر الصوّان ــ حجرِ الفدية .

حميَ الحجرُ . توهَّجَ ، أو كادَ .

دَحَوا على الرِّقاقةِ الحجرِ المتوهجةِ عجيناً اتَّخذوه من طحينهم الممزوجِ بشحم مفروم .

أكلوا أرغفتَهم الصغيرةَ مؤرَّقةً من رعونة الدَّسَم فيها .

تمدَّدوا على العشب القزم ، متكئين على البرادع .

أنجزوا ، بعيون نصف مغمضة ، رسومَ الكمالِ الصغيرِ حافياً في سريرٍ من رمل .

«ماالقراءة ، يابيغون؟» سأل باكالْبا زميلَه المتمدد إلى جواره .

«القراءةُ هي تجديدُ ولاءِ الكتابة للخطأِ» ، ردَّ بيغون ذو اللحية المجدولة خيطاً طويلاً في ذقنه .

«أُوْوْ . .» ، تمتم باكالبا السمين . أردفَ : «ظَنَنْتُها شيئاً آخر» ، فوافَقَهُ بيغون بلسان التورية المتلبِّدة :

ــ نعم . إنها شيء آخر غير الذي قلتُهُ . القراءة خطأٌ مقصودٌ للتستُّر على خطأ المعنى المقصود .

كسر بالْبورْ القصير عُوداً في يده ، مُلْفتاً سمعَ صِحابه إليه :

ــ أنت تخلطُ ، يابيغون . الكتابةُ هي تجديدُ الولاءِ للخطأ . الكتابةُ خطأٌ مقصود للتستُّر على معنىً لم يُحْسَم رسْمُه كلْباً .

ضحك تالماجور الأعرج ، المختبئ العينين : «أتُرْسَم المعاني ، أبداً ، على صورة كلب؟» .

«هذا ما أعتقده ، ياتالماجور» ، قال بالبور . «الكلبُ يلهث أبداً

كالمعنى» . أضاف : «ربما للمعنى صورٌ أخرى في علوم المضلِّليْن منذ اخترعوا حروفَهم» . وخَزَ قدمَ تالماجور بقدمه : «ماذا تشبه الحروفُ؟ أنت لا تقرأ ، لكنك ترى» .

حكَّ تالماجور فخذ ساقه الأكثر قِصراً من الأخرى : «إنها تشبه ماتشبِهُهُ بحسب أحوال عينيَّ في الرؤية» .

«بل تشبه الخوفَ ، يادليلَ الملح» ، قال بالبور .

«لماذا تسميني دليلَ الملح؟» ، قال تالماجور ، رافعاً رأسه عن بردعةِ جَمَله .

«لأنك تزيدُ مقادير الملح في كلماتك» ، ردَّ بالبور .

«أأنت تماحكُني؟ سألتني ماذا تشبُه الحروفُ ، ولم تسألني عن طَعْمها» ، قال تالماجور ممتعضاً ، فردَّ بالبور :

ـ سيَّان أن تراها ، أو تتذوقها . هي كالخوف .

«دَعْكَ من استثارة تالماجور ، ياقارىء الخوف بالبور» ، قال تاهشين ذو القبعة اللِّبود ، المائلة إلى جهة من رأسه . «أنا لست بقارئ . لكنني أزعم أن الحروفَ خصائصُ تسْعُ هي ذاتُها خصائصُ مهنتي ومهنة تالماجور . نحن دليلان ، نحسبُ كلَّ مرتبةٍ في تصنيف الأرض على رقم من أرقام الأمل ، والقلق ، والحيلة ، والكَمال ، والعبث ، والدعابة ، والتلْفيق ، والإشكال ، والخاتمة . إنْ كان مِنْ حرفٍ يخرج عن هذه المراتبِ فهو حرفٌ تائه» .

«ماذا تقول ، أنتَ ، ياباكالبا؟» سأله بالبور ، الضيق الأجفان كأنما هي ملتصقةٌ ، فردَّ السمين ، ذو الوجه المستدير الأجرد :

ـ لا تهمني ، كمرشِدٍ في مذاهب الشطرنج ، ودِينه ، نوازعُ الحروف ، أيها المُغتلمان في نكاحِ القراءة بيغون ، وبالبور . النُّظُم ، في

رقعة شطرنج ، تتّسع لثلاثين ألف أمّة من أُم البُعد الأوسط من صحراء الحجر . بيْدَقٌ واحدٌ يستطيع خطفَ السماء فوق كاروكشين . إنتبها لرقاعِكما . قد تأكلها يرابيعُ السهوب .

تلمَّس كلٌّ من بيغون ، وبالبور ، الرِّقاع الجلدَ ـ اللفائفَ محزومةً في خُرْجيهما . سبعُ رِقاع في خُرج بيغون . سبعٌ في خُرْج بالبور . جلودٌ لينةٌ ، ملساء ، ثماني أقدام طولاً ، وخمسٌ عرْضاً للرُّقعة الواحدة ، سينسخ عليها الرجلان كتابَ «التمويه على الأقدار المعلومة» ، من أسواق الكَتَبة في إقليمُ مودابُورك . لقد بوغِتَ بيغون ، وبالبور ، حقاً ، بفكرة أن تقضم اليرابيعُ رِقاعَهما . لكنهما استدركا ركاكةَ ذلك : مامِنْ يُربوعٍ أكلَ جلْداً في كاروكشين .

مال بيغون على جَنْبه موجهاً باكالبا : «ما الشطرنج ، ياابنَ رَاغِيْزَا؟» .

«لا تذكر اسمَ أُمي ، ياابن طويلة البظر» ، ردَّ باكالبا مستاءً .

«أليست هي التي جبَّتْ خصيتيك بِشْقَصِها ، لتأخذك خادماً إلى حريم تيغوتكين شاه ، مثل تالماجور؟» ، ساءله بيغون مُستخفاً باستياءِ باكالبا . فانبرى الرجلُ السمين جالساً ، محدِّقاً في غضب إلى بيغون : «سآكلُ لسانك . احذَرْني» ، قال .

ضحك بيغون فتراقص شارباه حول زاويتَيْ فمه . تحسَّس بيديه الأرضَ من حوله : «أين زِقُّ العلوم؟» ، قال ، فوضع جانكوه الأمهقُ زِقَّ خَمْر حليب الخيل في يد صاحبه .

«ماالشطرنج؟» ، كرر بيغون سؤاله إلى باكالبا ، وهو يقرِّب فمَ الزق من فمه ، فرد باكالبا :

ـ الاحتكام إلى اللامتوازن . التبعيةُ للغضب . اللانجاة . دخولٌ

إلى الحِصار بلا أمل للخروج منه . الشطرنجُ إقامةٌ في المهجور ، الذي لا تعرفهُ حروفُك اللّقِّيطةُ ، يابيغون .

«ماعلومُ الكلام هذه ، التي تتجاذبانها كعُصْعُص الشاة ، ياباكالبا ، وبيغون؟ خفِّفا عنَّا جُرعاتِ حسائكما الحامض . قلباكما حامضان» ، قال جانكوه مغمضَ العينين ، مهوِّماً بروحه ، المستلقية مثله على العشب ، في مضائق السماء .

«هيْهْ . . جانكوه» ، تمتم تاهشين منادياً صاحبَه الأمهقَ . «لماذا اتَّخذتَ الرسمَ مهنةً؟» ، قال .

«كي أضلِّل اللونَ» ، ردَّ جانكوه . أضاف : «كي أقامر بالأشكال» .

«ضدَّ مَنْ تقامرُ؟» ، ساءله تاهشين .

«ضدِّي» ، ردَّ جانكوه . أضافَ : «الرسمُ شِجارٌ بين الأصل والنُّسخ ، يخسرُ فيه الاثنان شوقَهما إلى الوحدة . الأصلُ ، ورَسمُ الأصلِ ، يسرق أحدُهما من الآخر براعةَ تعطيلِ الصفات» .

«أهذا هو الرسم ، ياجانكوه؟ أعليَّ أن أفكِّر بما قُلتَهُ كلما نظرتُ إلى رسم؟ لن يكون لرسم معنىً ، إذاً ، لأنني لن أتذكر كلمةً واحدة من كلماتك» ، قال تاهشين . هزَّ رأسَه استخفافاً بتوريات صاحبه الأمهق : «أعرف الرسمَ أكثر منك» .

«حقاً؟» تمتم جانكوه متسائلاً : «أيستدرجك النظرُ إلى الرسوم إلى اعتراف؟» .

«اعترافٌ بماذا؟ هل أكثرتَ من مُسارَرة زِقِّ العلوم؟» ، قال تاهشين . ثبَّت عينيه المختبئتين وراء حجاب أجفانهما على صاحبه : «بمَ تعترف أنت؟» .

«لا أريد أن أكـون سيِّـداً ، بل أن يكون لـي سيِّـدٌ مُـحْـتَـمَلٌ» ، ردَّ جانكوه .

«أرني عقلَك» ، قال تاهشين . «هَيٌّ» تمتم .

«ماذا؟» ، ساءله جانكوه عائداً إلى تهويمه .

«أرِنيْـه لأرى إن كان يملأ قـبضـتي كهـذا الزبيب» ، قـال تاهشين ، فناداه بالبور القصـير : «عُـدْ إلى خَـيالك الشحـاذ ، ياتاهشين . تسـوَّلْ بخيـالك حقيـقةً تُنسيْكَ عـقوقَ الحروف» . أرخى قبَّعتَه الجلد على وجهه في استلقائه . همس : «فلنسكتْ قليـلاً ، يا أبناء كـاروكـشين . جعتُ من كثـرة ثرثراتكم . أعطوني صـمتَكم أَكُلْهُ ممتنًّا للسُكَّر ، الذي فيه . أسْقوني صمتَكمُ مُخْتمِراً . أسْكِروني . أغلِقوا عليَّ . .» .

قاطعه بيغون : «توقَّفْ ، بحقِّ هذه الظهيرة عليك ؛ بحقِّ هذه البئر عليك ، يابالبور . تريدُ صمتاً وأنت تطحنُنا برعدِ لسانك الهامس» .

غـمغـموا ، جـميـعاً ، أنصـافَ كلمـات ذائبَـةً . أعادوا التـحـديقَ ، بعيـون لا تُرى حَـدَقـاتُها ، إلى الأزل ـ مـرمِّمِ صـورِ زهر البـابونج على وشاحه الحرير .

Slussen

قـذف شـابٌ بنفسـه قَـذْفاً من باب إحـدى المقطورات ، لمَّا توقف القطارُ في نفق مـحطة سْلُوْسِن . وضع سـهـماً في وتر قوسِـه المعـقـدة الصُّنع ـ قوسِ المحترفين في مسابقات الرَّمي بالسـهام . الذين نزلوا من القطار أصـيـبـوا بالهلع ، فتـدافـعوا مُـستـنجـدِيْنَ ببـراعـة المصـادفـات ، وحظوظ التـأجـيل ، كـي تخـرج بهم عن خط التـسـديد الواصل بين عينيِّ الشـاب ، ونصل السـهم ، والهـدف اللامنظور . رجلٌ طويلٌ ، ذو سُـمرةٍ من بذور شـمس الصيف وزيتـهـا ، قـذف بنفسـه ، أيضـاً ، من إحـدىً المقطورات ، مـخـتـلطاً بالجَـمْع المصـعـوق من فظاظة اللعـبـة اللامُـحْـتَـمَلة . انحنى إلى الخلف بجـذعـه . شَـهقَ السـهـمُ المقـذوف . نفثَ عويلاً خافتاً حين صدم النصلُ الإطارَ المطاطيَّ لنافـذة المقطورة ، وانغـرز فيه عميقاً . رنَّ الغضبُ في معدنِه . ركض الرجل إلى الجهة الأخـرى من الجـدار ، الفـاصل بين سِكّتَي القطارات المتـعـاكـسـة في عـبـورها . التـصق بالجـدار . ابتـعـد عنه المنتظرون في النفق . تفـرّقـوا مضطربين . برز الشاب القصير ، ذو القبعة المُسدلة الحواف على أذنيه . استلَّ سهماً جديداً من جعبته المتدلية الحزام من عاتقه . فوَّقَهُ في الوتر ، وشـدَّه . رفع الرجلُ الطويل ، الأسـمـر البشـرة من وَبَر الشـمس ،

يده يستمهل مُطَارِدَه : «الآلهة غائبةٌ اليوم ، يا بارْسِيْس» ، قال لاهثاً .

«لا يُهمني . سهميَ لن يخطىء» ، ردَّ الشاب ، ذو العينين المتفرِّستين من خلف نظارته . اقترب أكثر من الرجل شِبه المستسلم . «أين تريدني أن أضعَ سهمي من جسدك ، ياآكْيلونْ؟» . فردَّ الرجل البالغ منتصف العقد الرابع من عمره : «كم مرَّةً عليَّ أن أصحِّح خيالَ سهمك ، ياأخي بارسيس؟ أطْلِقِ السهمَ على عظام الرَّضْفة في ركبتي اليسرى» . غمزَ الشابُّ : «الآلهةُ غائبةٌ اليوم . ألا تشمُّ ذلك بأنف الذئب الذي فيك؟» .

«ماذا تقترح ، إذاً؟» ، ساءله بارسيسْ ذو القوس المُفَوَّقةِ الوترِ بسهمٍ يهتزُّ شهوةً .

«أقترحُ أن تبقى غائبةً» ، رد آكيلونْ ، حاملُ وَبَر الشمس تحت بَشَرته .

«لكنها ستحضر عمَّا قليل . الآلهة لا تغيب طويلاً ، ياآكيلون» ، قال بارسيس متقدِّماً أكثر ، بحذرٍ ، صوب أخيه .

وضع آكيلون يديه في جيبَيْ معطفه الطويل ، الداكنِ الزُّرقة : «ستحضرُ بعد فوات الأوان» ، قال مبتسماً في رضىً غامرٍ .

«أيُّ فوات للأوان تعني؟» ، ساءله بارسيس ، فرد آكيلون :

ـ تظنُّ الآلِهةُ أنني سأُقْتَل إذْ تغيبُ ، وتُفَاجأُ أنني نجوت إذْ تحضرُ . لم يُصنعْ ـ بَعْدُ ـ السهمُ ، الذي سيقتلني .

«لماذا تهرب مني ، إذاً ، نَفَقاً بعد آخر؟» ، ساءله بارسيس .

«لم تفهم بعد ياأخي . لا أهرب من سهمك ، بل من الكلمات التي ستصف خيبتَك» ، قال آكيلون .

برزت وجوه من منافذ الجدار الفاصل بين السكَّتين المتعاكستين ،

ومن جهتيه القريبتين من الأدراج الآلية . الذيْنَ تفرَّقوا مذعوريْن من اقتحام شخصيْنِ للمشهد في مطاردةٍ تُخلُّ بتوازن يومهم ، عادوا فتجمعوا على حَذَرٍ ، يسددون بَصَرَ فضولهم إلى توريات الأخويْن ، ويُصغون بآذان دَهَشِهم إلى الوتر المشدود كنَفَس بعد قُبْلةٍ ، وإلى السهمِ الناطق بمديح القتل . بعضهم تجرّأ فجاوَزَ الجِدارَ إلى الرَّصيف مكشواً بجسده كلِّه في مرمى الفضاء الواحد ، الجامع بين رسوم النفق السوداء والأخويْنِ في وقفتهما المحبوكةِ كعبثٍ .

«أيةُ كلمات ؛ أيةُ خيبة؟» ، ساءلَ بارسيسَ أخاه .

«كلماتي ، الَّتي سآخذها معي إلى البيت ، مُنْهَكَةً من عذوبة غموضها . هناك سأصفُ هذه الرسوم» ، قال آكيلون ، مشيراً بإصبعه إلى الجدار قبالتهما . «لقد رمَّموا الرسومَ القديمة على نحوٍ باتت تشبه خيبتك» .

«خيبتي مِمَّ؟» ، صرخ بارسيس متقدِّماً شبراً صوب أخيه بالسَّهم المتوعِّد . هزَّ آكيلون رأسه مبدياً حناناً من عينيه : «من كلماتي المنتصبة على حافة المعنى» .

«لماذا تهرب من كلماتك المنهارة ، لا مِنْ سهمي؟» ، ساءله بارسيس .

«لم أقلْ إنها منهارة ، بل على الحافة . وجودُك ، ياأخي بارسيس ، متشبثٌ بثياب كلماتي . إذا تمزَّقتْ ثيابُها ، وهي على الحافة ، ستنهارُ أنت . كلماتي كلماتٌ وجودِك على الحافة ؛ وجودُك وجودُ كلماتي على الحافة . كلماتي خيبتُك ، التي سأصف بها على العَشاء ، اليومَ ، هذه الرسومَ ، أمام أبي ـ ميزانِ العائلة المقسومة على أُمَّيْنِ . انظرْ» ، قال آكيلون مشيراً بوجهه إلى الرسوم قبالتهما . أرخى بارسيس وتَرَه .

حدّق إلى العربات السوداء تجرُّها ، على طُرِقِ اللون السوداء ، جيادٌ سُوْدٌ . هياكل متداخلة ؛ متصادمة في الأرجح ، لا تفصل أجزاءَها إلاّ خطوطٌ صفراء ، خجولة ، حول العَجَلات . كتلةٌ شبهُ كتيمة من سواد مشدود ، على جدار النفق ، كوتر سيرمي ، في أيما برهةٍ ، سهمَ الخلائق المحتجبَة في بلورات الأصل الأول - بلوراتِ الصوت الأسود ، السيِّد ، مُلقِّن المُنْشَدِيْنَ سخاءَ الطبائع الصامتة .

«لونٌ تائه» ، تمتم بارسيس ، البالغ السابعة والعشرين من عمره .

«لا . هو لونٌ يقود الشكلَ الخالصَ إلى الشكّ» ، رد آكيلون .

عاد بارسيس إلى شدِّ وتَره ثانيةً ، يسدِّد نصلَ السهم إلى جبين أخيه : «أتَرى ، كلَّما ألجأْتُكَ إلى رُكنٍ ، أو موضع ، لا نجاةَ لكَ من سهمي فيه ، عَمَدْتَ إلى إسرافٍ في توريَاتك الجامحة ، ونَحْتٍ من مشافهاتِ المُلْغِز؟ لماذا أُصغي إليك ، وأنا موقنٌ أنك لا تخاطبني؟» .

«لأنك أخي» ، رد آكيلون ، وهو يرتِّب حاجبيه بأصابعه ، فوق أجفانه المنتفخة . أردفَ : «الأُخوَّةُ سوءُ فَهْم . هكذا هي أبداً . الأُخوَّةُ نَفَقٌ برسوم كرسوم هذه العربات والجياد» .

هزَّ بارسيس رأسَه مستاءً . تنفَّس من رئة صبرِهِ النازف : «لن أخطئك ، الآن» ، قال . فتح آكيلون ذراعيه متصنِّعاً الرغبةَ في احتضانِ أخيه : «لن يخطئني سهمُك حتى لو أطلقْتَهُ عكس اتجاهي . أنا مرآةُ سهمك ؛ براعةُ جِداله في الهواء ؛ دِيْنُ النَّصل المُرفَّه كرغبةٍ في الفجر . لكنني لا أُقْتَل . لم يُصْنع ، بَعْدُ ، السهمُ ، الذي يقتلني» .

«ولماذا تهرب مني ، إذاً؟» ، ساءله بارسيس ، فردَّ آكيلون وقد ألوى رأسه كالمُشْفِقِ على أخيه : «سألتني هذا ، من قبل ، ياابن أبي . لا أهرب ، بل أجعل الأمرَ مشوِّقاً كوصفٍ بارعٍ للخيبة . إنني أختبرُ جرأةَ

خياليَ عليَّ ـ خيالي ، الذي هو سهمُك» .

«لكنك تهرب» ، قال بارسيس بصوت مزْبِد ، ذي رنين .

تراجع أولئك الذين تجاسروا على التقدُّم إلى الرصيفِ المكشوف لسهم بارسيس . انكمشوا .

«أهربُ كي أتبعَك» ، ردَّ آكيلون .

اهتـزَّتْ أسسُ العَـمـاءِ تحت أُسس النفق . ضمَّ القطارُ القـادمُ جناحيْه الخفييَّن ـ جناحَي الوقتِ المرقَّم بخصائص المُنازَعات . فُتِحَتْ أبوابُ رئاته : خرجَ جَمْعٌ مع زفيره ؛ دخل جَمْعٌ مع شهيقه . ركض آكيلون . تبعه بارسيس . تفرَّق بعض الناس مذعورين من رؤية السهم مصوَّباً . بلغ الأخوانِ الدرج الآليَّ . صعداه وبينهما مسافةُ ستة أمتار . التفت آكيلون من علياء الدرج إلى أخيه : «أَعلينا أن نصل إلى العَشاءِ لاهثيْنِ؟ سنُجْفِلُ العائلةَ» .

«لن يجفلَ أحدٌ من وصولنا لاهثيْنِ . النبيُّ القادمُ مُصْطَحَباً بأخويْنا آبيريم ، ونواهين ، إلى العَشاء ، الليلةَ ، سيصل لاهثاً» .

قَسَمُ الطبائع

برز جبل كاكُونتْ أكثر انحناءً ، بقممه العريقة الأربع ، صوب الغرب ؛ رمادياً كروح ؛ أميناً للأعشاش الجليد ، التي لن يقدر ربيعُ كاروكشين ، بدفئه الخَجُول ، أن يخيف فراخَ الجليد الجاثمةَ عليها .

نسورٌ جليدٌ ، بأجنحة من يقظة البياض الكبير ، ترقد فوق بيض الروح الكبيرة في قمم كاكونت .

بيضٌ أبديٌّ .

فراخٌ أبديَّةٌ ، في الأعشاش الجليد .

أغمض الستةُ الأنفارُ عيونَهم إذِ ارتدَّتْ شعاعاتُ الشمس عن الأعشاش الجليد إليهم . ظلَّلوا جباههم بالأيدي فوق ظهور الجِمال يستبينون كمينَ البئر الثانية ، بعد ستة أيام على مغادرة البئر الأولى في سهوب كاروكشين : «إنها ليست أبعدَ مما يقطعه أرنبٌ مذعور ، في النصف الأول من الشوط هارباً» ، قال تالماجور .

خرج ابنُ آوى من ثِنْي في الأرض ، عن بُعْدٍ تحصره العينُ . استعرضَهم ببصر أعماقه . تجاهلهم في هرولته المُطْمَئنَّة . مضى شرقاً .

«ماذا ترى في تحديقك إلى الشرق ، يابيغون؟ لم يَعُدِ الحيوانُ يُرى» ، قال جانكوه .

«أرى جـدارَ ممالك زَانْهِـيْنْغ الثـلاث ـ جـدارَ الممكنات المعلَّقـة ، ياجانكوه» ، رد بيغون . تمتم : «إنه خلف اللون الثالث شرق سهوب كاروكشين ؛ خلف اللون في الرسوم» ، قال ، مداعباً خيالَ جانكوه ، الذي يحمل سبعَ رِقاعٍ من جلد الخيول البيضاء ليستنسخ عليها «ثقةَ الملتبس» ـ كتاب تبويبُ اللانهائيِّ رسوماً .

«أرأيتَ جدارَ زَانْهِيْنْغ الهائل ، يابيغون؟» ، ساءله تاهشين . «زَعَم بعضُهم أنك رأيته» ، أضافَ .

«حفرتُ نُقْرةً في حجره بنصل المِشْقص . بلَّلتُ سبَّابتي بلساني وتذَوَّقتُ بُرادَتَه ـ بُرادةَ الحجر في جدار زَانْهِيْنْغ . طعمُهُ ذاكرةٌ» ، قال بيغون . «هذا جدارُ نبوَّةٌ ، يروِّض الجهات على الإيمان بعقل الخوف . بلا خوفٍ لايكون الوجود ممكناً كمعجزةٍ ، ياتاهشين» .

«لماذا لا نبني جداراً حول كاروكشين؟» ، تساءل باكالبا ، فردَّ بيغون :

ـ لدينا جبلُ كاكونتْ . جبلُ نبوَّةٌ .

«نبوَّةُ ماذا هو جبلُ كاكونت؟» ، ساءله جانكوه ، فردَّ بيغون :

ـ نبوَّةُ الريح .

«أكلُّ شيءٍ نبوَّةُ شيءٍ آخر؟» ، سأل تاهشين .

«نعم ، ياتاهشين : الظلامُ نبوَّةُ الصور . الطيرُ نبوَّةُ المعقول . المعدنُ نبوَّةُ الحُلم المتردِّد» ، قال بيغون ، فقاطعه باكالبا :

ـ ظننتُ الحروفَ هي نبوَّة الحلم المتردِّد . أنت قلت ذلك من قبل ، يابيغون .

«ماالحلمُ المتردِّد ، ياماعزَ أرض كاروكشين؟» ، تساءل تالماجور سخراً ، فردَّ بيغون :

ـ هو حلم لايعرف ، تحديداً ، بأيٍّ سياقٍ يبدأ في ترتيب التيه لخيال النائم . حلمٌ متردِّدٌ حلمٌ واثقٌ من ذاتِه كَحلم .

شدَّ تاهشين وَهَقَ جمله منتعشاً من محاورات اللسانِ المُشْكِل :

ـ أنت قويٌّ كظلام ، يابيغون .

«بل أنت قويٌّ كخيَانة ، يابيغون» ، قال باكالبا .

«قويٌّ كجوع» ، قال تالماجور .

«قويٌّ كيأسٍ» ، قال بالبور .

«قويٌّ كبياضٍ» ، قال جانكوه .

أرخى تاهشينُ وَهَقَ جملِه : «أنت قويٌّ كإيمانٍ مخذولٍ ، يابيغون» ، قال .

«قويٌّ كقبر» ، قال باكالبا .

«قويٌّ كالوحدة» ، قال بالبور .

«قويٌّ كخيالٍ لا يعثر على كلمات» ، قال جانكوه .

أوقف بيغونُ جَمَله . وَجَأَ عنقَه بعقب حذائه ، فاستناخ الجملُ وبَرَكَ ممتثلاً للصوتِ المقاديرِ . «تضعونني في مأزق ، ياأبناء كاروكشين» ، قال ملاطفاً .

«لماذا أقعدْتَ جمَلَك؟» ، ساءله جانكوه ، فردَّ بيغون :

ـ أحسستُ قلبي في فراغ فوطأتُ الأرضَ بقدميَّ كي أسترجعه .

«هل استرجعتَه؟» ، ساءلهُ بالبور ممازحاً .

«استعدْتُه . قلبي نبوَّةُ المأزق» ، قال بيغون . أضاف : «ذلك يريحني . كلُّ مأزقٍ هدنةٌ» .

«ماالنبوَّة ، يابيغون؟» ، ساءله تالماجور الأعرج ، فردَّ بيغون :

ـ النبوَّةُ قَسَمُ الطبائع أن تظلَّ على ولائها للمُحَيِّر .

نثر تالماجور ، بغتةً ، مديحَ قلبه ـ قلبِ الدليل الناطق بلسان الآثار ـ على الأبدِ المُخْتَصَر : «هاهي البئر الثانية» ، قال . أردفَ مبتسماً في خُيلاء : «إنني أرفعها بخُطَّاف بصري إلى خطاطيف أبصاركم ، فلا تُسْقِطوها» .

في اليوم السادس من مغادرتهم البئرَ الأولى حَلُّوا أضيافاً على البئر الثانية .

نزل الستة الأنفار عن برادع جِمالهم بعد أنْ أقعدوها .

كَعَمَ كلٌّ جملَهُ . لم يسقوها ماءً . أبقوها عطشى ، مستعِرةَ الأجواف عطشاً ، مُذْ هيَّأتهم علومُ الأدلاَّء أن السَّقيَ الأعظم للجِمال يكون من البئر الثالثة ، التي ليس بعدها إلاَّ العبورُ من نَفَقٍ في جبال كاكونت إلى ريح الجفاف في صحراء لوكهين .

تزوَّدوا من البئر بخيال النُّظُم الرطبة ـ نُظُمِ الإقامة في الولاءِ المُحْيِي .

شربوا ماءً . ملأوا أَسْقِيَتَهم الجلودَ فانتفخت امتناناً .

بلَّلوا رؤوسَ جِمالهم ، معتذرين إلى أوبارها ، التي فاحتْ كفوح الجفاف الحالِم .

Huvudsta

«أعتقد أنني لم أعدْ أعرف كيف أكلِّم أحداً ؛ كيف أنظر بطريقة عادية إلى أحد ؛ كيف أحدِّق إلى المرآة من غير التوسُّل إلى الظلام وإلى النور أن لا تكون ملامحي هي ذاتها . سأعبدُ أيَّ شيء إذا أفقتُ صباحاً ووجدتُ نبرةَ صوتي مختلفة . سأؤمن بأيِّ شيءٍ مُحَطَّم ، أو ملتحم ، لو قدرْتُ أن أستردَّ نَفْسي من الوجود ألواحاً رُخَاماً رقيقةً أرصفها الواحد لصق الآخر ، على رملٍ ناعم ، وأرسم عليها ، بملقط حاجبيَّ ، شكلاً آخرَ لي ، عضواً عضواً ، بتناسُقٍ أو من دونه . أريد بعضَ الحقدِ في طباعي ؛ بعض الغضب في طباعي ؛ بعض المجازفة في طباعي . أريد أن أُغلق البابَ على الجميع ، وأمشي في تسعة اتجاهات في الوقت ذاته : شرقِ اللون ، وغرْبِ اللون . شمالِ اللون . جنوبِ اللون . شمال شرق اللون . شمال غرب اللون . جنوب شرق اللون . جنوب غرب اللون» ، قالت هِيْدْجِيرا ، ذاتُ الشَّعر السَّبِط ، المعقود إلى الخلف ، في نَفَسٍ واحد .

«عَدَدْتِ ثماني جهات» ، همست الفتاةُ ذات العينين الشَّرِهتين ، الحزينتين ، الواقفة لصقها متكئة على الحائط .

«ثماني جهاتٍ تغدو تسعاً إنْ أضفتُ إليها فَرْجَ أُمِّها» ، ردتْ

هيدجيرا .

«ماغيَّرتِ شيئاً ، ياأختي . لكن سيكونُ اللونُ سعيداً ، في الأرجح ، إذا اعتبرتِ فرْجَ أُمه اتجاهاً» ، قالت الفتاة الممتلئة ، وهي تنقر بعقب حذائها العالي على الرصيف .

مدَّت يدها اليمنى تنفض قِشرةَ شَعرٍ عن كتف أختها : «أنت غاضبةٌ كفايةً ، ياهيدجيرا . غضبُك يكفي لنَسْفِ هذا النفق . ماذا يُغْضِبك؟» .

«هذا ليس غَضَباً» ، ردتْ هيدجيرا في معطفها الأخضر ، ذي الأزرار الكثيرة . «أنا إطراقةُ الإله على خطأ اقترفَهُ سهواً» . فكَّرتْ قليلاً ، أو ادَّعتْ ذلك : «أَمْ أنا سهوُهُ ، ياأختي سَالُوْمِيَا؟» .

«إن لم يكن هذا غَضَباً ، فماذا تسميْنَه؟» ، ساءلتْها سالوميا ، ذات الثانية والعشرين ، فردت أختُها :

ـ أُسميه تمريناً على الغضب .

«ماذا ستصبحين إذا بلغ بكِ الحَذَقُ أنْ تصيري غضبى محترفةً؟» ، ساءلتها سالوميا .

«أغدو أقربَ إلى الإله» ، ردت هيدجيرا ، ابنةُ السادسة والعشرين . دارتْ بوجهها إلى ركنٍ من الجدار قريب من المَعْبَر إلى اللأدراج الآلية : «أهذا الرجل يرسمني؟» ، قالت هامسةً ، فالتفتت سالوميا إلى حيث تنظر أختها .

كان بصرُ الرجل الكهل ، ذي القبعة المضلَّعة الحواف ، يتردَّد بين هيدجيرا والورقة السميكة ، التي نصبَها على حامل خشبيٍّ صغير ذي قوائم أمامه ـ هو الجالس ، كنحت إسمنتٍ على كرسيٍّ مستدير ، لايعلو عن الأرض شبرين . تمتمت سالوميا : «لِمَ اعتقادُكِ أنه

يرسمك ، ياهيدجيرا؟» ، فتأفَّفت أختُها مقطِّبةً جبينها فوق عينيها المائلة زرقتهما إلى صُفرةٍ : «لكِ عينان في قدميك ، ياسالوميا . قدماكِ لاتخطئان الجهةَ التي تريدين ، فيما يخطىءُ بصري قراءةَ حركةٍ أكثر وضوحاً من اسم أُمي سَارْها . ألا ترينَ الرجلَ ينقل وجهَه بيني وبين اللوح أمامَه؟» .

«رسامو الأنفاق لا يرسمون إلاَّ من يدفع لهم» ، قالت سالوميا .

«رسامو الأنفاق؟! منذ متى ينزل رسَّامو الأرصفة ، والساحات ، إلى الأنفاق؟ أيُّ متَّسع من الوقت أمام المغادرين من القطارات ، والداخلين إليها ، أو المنتظرين وصولها في دقائق ، كي ينجز لهم رسَّامٌ ، في هذا النفق ، رسْماً؟ لن يكملَ أكثر من رسْمِ جبهة ، أو أذنين ، أو ابتسامة مرضوضة ، قبل أن يقفز صاحبُ الصورة إلى القطار القادم» ، قالت هيدجيرا .

«ربما يرسم الأشخاصَ على مراحل . اليومَ جزءٌ من الوجه ، يليه جزءٌ آخر في اليوم التالي» ، تمتمت سالوميا ، فصدمَتْها أُختها كتفاً إلى كتف ، في رفْقٍ :

ـ أيقبض أَجرَهُ على دفعات؟

«مَنْ يدفع ، حتى القليل ، قبل إنجاز الرسْم؟ ربما يدفعون إذا أُنجزَ» ، ردت سالوميا .

«اذهبي اسأليهْ ، كيف يجري الاتفاق على الدَّفع» ، قالت هيدجيرا ، وأخرجت علبة لِفافات التبغ من جيبها ، سحبتْ لفافةً .

«ماذا تفعلين؟» ، ساءلتها سالوميا مستنكرةً .

«سأدخن» ، ردت هيدجيرا .

«ألا ترين الداخلين إلى النفق؟ ألا ترين بعض الواقفين على

الرصيف ، هناك؟منذ متى تدخنين في أنفاق القطارات؟» ، ساءلتها سالوميا ، هَمْساً ، بصوت متوعِّد ، فردت هيدجيرا :

ـ اذهبي اسألْيه ، أو سأشعل لِفافتي .

رفعت سالوميا كفَّها مفتوحةَ الأصابع في وجه أختها : «حسناً» ، قالت على مضض . استدارت ماشيةً باتجاه الرسام . تقدَّمت خطوات . هبت ريحُ الخفيِّ المعلوم على سنابل الحقل الدفين ، في الظلام الأعمق الدفين ، تحت أساسات نفق هُوْفودِسْتَا . هَسْهَسَتِ السنابلُ . توقفت سالوميا . دارت على عقبيها راجعةً . تقدم منتظرو القطار إلى الرصيف . رفعت هيدجيرا ذراعيها في استياءٍ صارخ ، وهي ترى أختها عائدةً : «لماذا لم تسألي الرسامَ ماسألْتُكِ أن تسألِيه؟» ، فردت سالوميا مندهشةً : «لا وقتَ . لقد وصل القطار ، ياأختي» .

«عودي إليه» ، قالت هيدجيرا بصوتٍ معدنيِّ النَّبرِ .

«والقطار؟!!!» ، ساءلتها سالوميا مصعوقةً ، فردت هيدجيرا بغضبٍ عليه غَبْرةُ السخرية :

ـ سأخترع قطاراً لكِ ولي ، وحدنا ، بعد أن تسأليه .

«إلهٌ مَّا ، فَقَدَ مفاتيح خزانته ، التي يستودعها الأرواحَ كفستقٍ أفسدتْهُ الرطوبة ، هو الذي حلَّ في لغتك اليوم» ، قالت سالوميا كأنما تنوح . عبثٌ خلط سطورَ المنطق عشواءَ على لوح قلبها . عبثٌ آخر رتَّب شَعْرَهُ الأشعثَ وهو يتمرأى في زجاج نافذة القطار . أقلع القطارُ . تهادتْ ذاتُ العينين الشرهتين المشوبتين بحزنٍ صوب الرسام الكهل ، المسترسل في نقل بصره بين الورقة وبين هيدجيرا . دارت من خلفه . تمتم الرجل :

ـ الآلهةُ عصيانٌ لغويٌّ .

وقفت سالوميا متحيرةً لثلاث ثوانٍ مغمَّسة في خلٍّ السفرجل . انتقلت من خلف ظهره إلى جانبه منحنِيةً قليلاً تتأمل وجهه . نطق الرجلُ ثانيةً : «ماذا ألْهَمَ الإله أن يخترع كل هذا الغضب إنْ لم يكن غاضباً؟ تلك الفتاةُ إفراطٌ في وصف اللغة بالعصيان . لا اعتدالَ بلا غضب» ، قال كنائم .

«تلك الفتاة أختي . ظنَّتْكَ ترسمها» ، قالت سالوميا ، فردَّ الكهل :

ـ الكل يظن ذلك .

«أنت توهمهم ، في الأرجح ، عن قصدٍ ، بأنك ترسمهم . حركةُ بصرك خدعةٌ غير مفهومة» ، قالت سالوميا . تراجعت عنه خطوةً . رمقتْهُ . عادتْ أَدْراجَها إلى أُختها : «ابن القحبة يرسم نَفْسَه» .

«ماذا؟» ، ساءلتها هيدجيرا باستنكار واستغراب معاً . ترقرقتِ الخيبةُ في عينيها .

«أعتقد أنه يتكلم كما تتكلمين أنتِ ، وكما يتكلم أبي» ، قالت سالوميا .

«ماذا تعنينَ؟» ، سألتها هيدجيرا ، فردت أختها :

ـ أعني حين يستعير أحدُكم لسانَ المهرِّج .

«لسان المهرِّج؟!!» ، تمتمت هيدجيرا مُبَعْثِرَةً حروفاً باردةً في أثلام الهواء البارد . أخرجتْ علبةَ تبغها من الحقيبة المتدلية من كتفها . أشعلتْ لِفافةً أمام بصر سالوميا المُسْتَهجِن . قالت موبِّخةً : «لماذا تحدِّقين إليَّ هكذا؟» ، دارت بوجهها على جهات النفق : «مامنْ ابن قحبة سيوقفني . سأستنفِد علبةَ تبغي كلَّها ، هنا ، اليوم» . أَوقفتْ بصرَها على الرسام : «إنه يرسمني» .

«ألا ترين أنها حيلة مبتذلة؟ يتعمَّد أن يُوْهِم . . .» ، قالت سالوميا ، فقاطعتْها أختها :

ـ إنه يرسمني .

صمتت سالوميا . لم تُرِد المضيَّ في ثرثرةٍ تستدرج الأختيْنِ ، بشغف ، إلى استثارة شهواتها . تمتمت هيدجيرا متسائلةً :

ـ «أأنتِ تستسلميْن؟» . ابتسمت : «أيُّ كلامٍ قاله ابنُ القحبة يشبه ماأقول ، أو مايقول أبي؟» .

ابتعدت سالوميا خطوات عن أختها . جلست على مقعد ذي وميض شَرِهٍ في حديده الفضّيِّ . بعضُ الذين تسرَّبوا إلى النفق رمقوا الدخانَ الشهوانيَّ حول وجه هيدجيرا بلا مبالاة مدرَّبةٍ على تقشير الوقت كالموز . علّقوا خيالَهم النعسانَ على أوراق القصب الطويلة للرَّسم الجداريِّ في نفق هُوْفُودِسْتا ـ نَفَقِ الزيت المُعْتَصَر من الظلالِ الرطبة .

دحرج القطارُ الصوتَ الحديديَّ أمامه ضروعاً تلتقط حلماتِها أفواه الصدى المائةُ . تنشّق المنتظرون فَوْحَ الحليبِ المعدنِ . نهضت سالوميا متأهِّبة للصعود . هرعت إليها أختها . أمسكت بها من عضدها : «فلننتظرِ القطار التالي» .

«لن أنتظر» ، ردت سالوميا ذات السترة القصيرة ، المنكشفة قليلاً عن سُرَّتها المزينَّة بحلقة ذهبية مغروزة في الجلد . ألقت أختُها بعقب لِفافة التبغ أرضاً . مَعَسَتْه بحذائها ـ حذاء الشتاء .

«أختي سالوميا» ، قالت هيدجيرا في حنان . «هؤلاء العابرون يجرُّون القطارات بحبال من جلود الأسلاف . جلدُك رقيق» . وضعت إصبعين على سرَّة سالوميا . «جلد أسلافنا رقيق لا يصلح لجرِّ ديكٍ روميٍّ» .

«عمَّ تتحدَّثين ، ياأختي هيدجيرا؟ أنا نَفْسي صرتُ أتمنَّى لو أستعيدُكِ من الوجود ألواحاً أرصفُها ، الواحد لصق الآخر ، من بيتنا في أرض الصباح الهرطوقيِّ سْكوْغوس إلى مشارف جزيرة كْرِيت ، ثم أعمَدُ إلى رسم أعضائك رسْماً حيَّاً على كل لوح ، بمبردِ أظافري . أريد أن أستعيدك أُختاً مائيَّةً» ، قالت سالوميا . مالت هيدجيرا برأسها على وجه أُختها : «من بيتنا في سكوغوس إلى مشارف كريْت؟ لماذا جزيرة كريت؟» ، ساءلتْها ، فردت سالوميا :

«سأتزوج في كريت . لا أعرف مَنْ . لم أَزُرْها بعد» .

أكمل القطارُ تدوين سَطْر حروفه أسفلَ ورقةٍ في معجم النفق . أغلق أبوابَه وانسلَّ تجرُّه أرواحُ اللهب البارد .

«لِمَ علينا أن ننتظر ، ياأختي؟» ، قالت سالوميا بصوتٍ مكسورٍ . شدَّتْ أُختُها على عضدها مواسيةً : «لأجل هذا» .

نطقت هيدجيرا كلماتِها تلك ثم تقدَّمتْ إلى خندق سكَّة القطار . جلست على الحافة وهي تهم بالنزول إلى أسفل . أمسكت بها سالوميا :

- ماذا تفعلين ، أيتها الحمقاء؟ .

«سأجرُّ بنفْسي القطارَ القادم . سأجرُّه بحزام حقيبةِ كتفيْ هذه» ، قالت هيدجيرا وهي تشد قبضتها على الحزامِ الجلدِ البنِّيِّ للحقيبة المنتفخة . «سأكلم الآلهةَ وأنا أجرُّ القطار من نفقٍ إلى نفق . أعطينا الآلهةَ لغةً تُسهِّل عليها مخاطَبَتَنا في كسل» . التفتَت بوجهها عالياً إلى أختها ، من مجلسها على حافة الأخدود الأسود : «كيف وصلت الآلهة إلينا؟ أعطيناها مالم تنتظرهُ منَّا قط ، وسنظلُّ نعطيها ما لا تنتظره . نحن مفاجآتٌ لغوية بلا حدود» . نهضتْ . «آلهةٌ كثيرة قرأتْ

سيرتي البارحة . آلهة جديدة في المهنة» ، قالتْ ، فهزّتْ سالوميا رأسَها أسَفاً : «ترددين عليَّ مايردِّده عليكِ كتابٌ حائرٌ» .

«لم أجدْ كتاباً حائراً بعد ، ياأختيِ» ، ردت هيدجيرا . نظرتْ صوبَ الرسام الكهل : «سنعرِّف الآلهةَ ، على العَشاء ، إلى نبيٍّ عجول ، هذا اليوم» .

«ستُجفليْنَ النبيَّ القادم إلى العَشاء بسَرْدِ سيرة عقلك عليه ، ياأختي هيدجيرا» ، قالت سالوميا بلسان التأكيد ، فردتْ أختُها :

ـ لن يكون لديه متّسع من الوقت للإصغاء إليَّ ، فاطمئنِّي . سيتناول العَشاء على عجل . الأنبياء عجولون . النبوَّةُ خطْفٌ للغة . بعد كل خطْف يتعهَّد الأنبياءُ بإعادة اللغة إلينا مقابل فدية .

شدَّت سالوميا حواشي سترتها القصيرة لتغطي سُرَّتَها الظاهرةَ عاريةً في مجاز مُحْكَم من اللحم . تمتمت : «ماالفدية؟» .

«نحن ، وهذا النفقُ» ، ردَّتْ هيدجيرا . مشت بتثاقل نحو الرسام . دارت من وراء كتفيه تتأمَّل الرسمَ . أطالتِ النظرَ صامتةً : «لماذا هذه الأخطاء كلُّها؟» ، قالت في همسٍ .

توقَّف الرجل الكهل عن الرسمِ بالقلمِ الرصاص . أبْعَدَ رأسَه عن الورقة يتأمَّلها بدوره . «أعطيْني لِفافةَ تبغ» ، قال بصوتٍ نائم . «أشعليها لي» ، أردفَ قبل أن تصله اللفافة ، الّتي أشعلتْها هيدجيرا بقدّاح رخيص من البلاستيك الأسود . نفخ الرجلُ الدخانَ من فمه أقواساً مكسورةً ، وحروفاً تتداعبُ بأذيالها : «الخطأُ غفرانٌ لغويٌّ» ، قال .

انحنت هيدجيرا انحناءةً خفيفةً على اللوح المنتصب أمام الرجل : «ترسمني على نحوٍ أغدو أقربَ شَبَهاً بك . كم من الزمن

تتبَّعْتَني؟ . درَّبتَ نَفْسَك طويلاً على ملامحي حتى صرتَ بارعاً في ترويضها للهوِ قلمك اللِّص ، وورقتِكَ الكلبة . أنت تجرِّد ملامحي قشرةً قشرةً لتلتقط شيئاً مَّا» . قالت بلسان الريبة ، فرد الكهل :

ـ نعم . أريد أن ألتقط الظلالَ الأولى للخطأ .

امتعضت هيدجيرا . وضعت راحتَها على قمة اللوح الخشبي ـ لوح حضانةِ البياضِ لتفريخ الأشكال فَقْسَاً في ورق الرسم : «أأنا خطأٌ؟ أتُصنِّفني مرتبةً من مراتب الخطإ؟ أَمْ أنا مراتبُ الخطأ كلُّها؟» .

رفع الرسامُ وجهَه المعروقَ إليها . تصنَّع نظرةَ المعتذِر : «أنتِ خطأُ هذه الورقة ، وصوابُ هذا النفق» .

«لماذا ترسمني؟» ، قالت هيدجيرا بصوتٍ تشنَّجَ وترُه ، فرد الكهل :

ـ هذا جزءٌ أوَّلُ منك ، الجزءُ الأول الذي يشبهني .

«ستتبعني إذاً كي تكمل الأجزاءَ الأخرى مني . أنت تتبعني» ، قالت هيدجيرا هائجةً . هرعتْ إليها أختُها ممسكةً برُدْن معطفها . اقتربت حفنةٌ من القادمين إلى النفق من الأختين والرسام ، متطفِّلَيْنَ على الصخب المُجْتَذِب . حاولت سالوميا أن تُبعِد أُختها ، التي ردَّدت بصوتٍ فيه نشيجٌ : «لماذا يرسمني؟» .

«لا تكوني مجنونة . إنه يرسم نَفْسَه» ، قالت سالوميا .

«أهو يرسم نفْسَه يابنةَ ميريما؟!!» ، صرخت هيدجيرا . «اقتربوا» ، قالتْ تحثُّ المقتربيْن المتطفِّليْنَ . «أهو يرسمني أمْ يرسم نَفْسَه؟» .

ألقى المجتمعون ربعَ حلقةٍ بأبصارهم إلى الورقة الخشنة ، التي عُجِنَ بياضُها بخطوطٍ من خمائرِ ملامح الرجل الكهل ، ثم رفعوا أبصارَهم ، تلك ، إلى وجه هيدجيرا ممرَّغةً في طحينٍ من الأسئلة .

مسٌّ الخذلان المرفوعُ من الأعين قلبَ الفتاة . تمعَّسَ قلبُها .

«إنه يرسمني» ، قالت هيدجيرا صارخةً . «في كل نفق يختلس جزءاً من ملامحي ليضمَّه ، مموَّهاً ، إلى ملامحه» . استدارت إلى لوح الرسام فقلبتْه بيدها . «منذ متى تتبعني ، ياابن القحبة؟» .

جرَّت سالوميا أختَها جرّاً من ظهر معطفها . نهض الرسام ، في هدوء ، عن كرسيه الصغير . تمتم :

«أنتِ تخونينني» .

«ماذا قال؟» ، ساءلتْ هيدجيرا أختَها . كررتْ : «ماذا قال؟» .

حمل الرسام اللوح تحت إبطه . حمل الكرسيَّ الصغير . حيَّاها برأسه تحيةَ المُغَادِر : «النبيُّ القادم إلى العشاء ليس عجولاً» .

جمدت هيدجيرا قليلاً . حدَّقت إلى وجه أختها تستنطقُ الخفيَّ السارحَ في عينيها الشَّرهتين الحزينتين . استدارت إلى الرسام : «مَنْ إلهُكَ؟» ، قالت ملءَ حنجرتها المُبطَّنةِ برمْلِ الصوت ، فلم ترَ الرجل الكهل . وافدون كَثَرٌ قُدِموا من جهةِ الأدراج بظلال زاحفةٍ يجرُّها وقتُهم المروَّضُ كدلفين من نُورٍ . اتكأت هيدجيرا بكتفها إلى كتف سالوميا . «أتعرفين منافع القصب؟» ، قالت ، وهي تتفحَّص الرسمَ الجداريَّ في نفق هُوفودسْتا : أوراقٌ سيوفٌ ، ملتمعةٌ الحواف من ضياء نُثِرَ عنوةً عليها . غيومٌ مكسورة كحجارة مكسورة من منتصفها . حشراتٌ سُرمان برتقالية ، مدسوسةٌ في ثنايا الظلال . رسَّامٌ (أو رسَّامون) أتى بدغْلِ قصبٍ إلى النفق ، ناضجاً في اللون الناضج على الجدار ، الذي نسي ذاكرتَه .

استعرض القطارُ القادمُ على الواقفين آيتَهُ الصاخبةَ . استنشقهم كدخانٍ .

مسكوكاتُ الأفاويح

حلَّ باكالبا الرِّباطَ عن فمِ الجِراب الجلدِ الصغير . أدخل أنفَه فيه . شمَّه حتى أغمي علىَ رئتيه نشوةً . مرَّر الجِرابَ الجلدَ إلى صِحابه ، واحداً واحداً : «أرُوْني صوراً من عِظة المِسك في عقولكم» ، قال .

نطق جانكوه متمايلاً في جلسته :

ـ غزالٌ يصعد من قلبي إلى عينيَّ . نوافجُ مِسْكٍ تتدحرج ، ملأى ، من اللون إلى الكلمات .

أغمض بالبور عينيه كاتماً نَفَسَه بعد استنشاقِ فمِ الجِراب . زفرَ طويلاً :

ـ غزالٌ محنةٌ في عقائد العِطر . المِسكُ مجابهاتٌ .

تناول بيغون الجراب من يد بالبور . وضع أُذنَه على فم الجراب : «المسكُ يقينيَ البسيطُ أن غزالاً لم أرَهُ لن يراني . سنتقاسم الأمرَ ، أنا والغزال ، الذي أسمعه راكضاً ، على هذا النحو : لم أرَهُ ؛ لم يَرَني . لكنْ ، لن تنجو ذاكرةُ أحدنا من الآخر» ، قال . شمَّ الكونَ المختَصَر عِطْراً في وعاءِ المسك . وضع الجرابَ في يد تاهشين .

تنهَّد تاهشين . صعَّد حُرْقةً كحرقةِ العاشق من كبده إلى خياله :

ـ أنتم تؤلّبون المسكَ عليَّ . ألّبوا الغزالَ أيضاً .

«أيها الدمُ القيّافُ» ، تمتم تالماجور . «دمٌ خُثارةٌ في سُرَّةِ الغزال يمكِّنُ كلَّ دم من عبوره عماءَ المشمومات» . تنشّقَ فمَ الجراب . تشبَّث مافيه بما ليسَ فيه .

غَلّقَ باكالبا فمَ جراب المسك . حلَّ الرباط عن جراب العَنبر . وسَّعه بأصابعه السمراء الخشنة . دسَّ أنفه فيه : «يالهدير البحر» ، قال . وضعَ الجراب في يد جانكوه . شمَّ الرجلُ الأمهقُ فمَ الجراب :

ـ عقلُ ماءٍ ، أم عَقْلُ بَرٍّ جمع للحيتان خمائرَ العطر الخالد في أحشائها؟ حيتانٌ عديدة ، لم يرَها أهل كاروكشين ، تَحسبني ـ الآن ـ حُوتاً . وأنا أحسدُها على ذلك .

شمَّ بالبور جرابَ العنبر . تناثر ذرّاتٍ وتجمّع في شَلْشالِ عِطْرٍ :

ـ ما العنبرُ؟ أَلْهِمِيني شيئاً ياسهوبَ كاروكشين .

مرَّرَ بيغون فمَ جراب العنبر ثلاثاً تحت أنفه . أنشدَ الأصلُ الهيولى في جوهر يغون نشيدَ الفوح :

ـ خمسةُ أشبار بيني وبين وجودي الأول ـ وجوديَ سماءً مُغَمَّسةً كالخبز في حسَاءِ البحر .

تنهَّد تاهشين وهو يقرِّب عينَه اليسرى من فم الجراب متلصِّصاً على مالا يُرى .

ـ أزعمُ أنني شأنٌ من شؤون المغاليق ، وأحيا بلا رئتين . لقد تنفَّستُ ، من رئة هذا العنبر ، هواءً يكفي كاروكشينْ ستةَ قرونٍ .

«لا تنقذوني» ، تمتم تالماجور حين استقرَّ الجِراب بين يديه . «لا تنقذوني . حُوتٌ غمامٌ فوق سهوب كاروكشين .» ، قال ثانية ، حين شمَّ العنبر .

غلّق باكالبا فمَ جراب العنبر برباطه . فكّ الرباطَ عن جراب الكافور . وسَّع فمَ الجِراب الجِلْدِ . شمَّه : «شطرنجُ الأفاويح» ، همسَ هاذياً . مَدَّ الجِراب إلى جانكوه .

«شجرةُ المأزق لا تثمر إلاَّ مخارجَ . زهرٌ مُعْضلةٌ ، ورحيقٌ حَلٌّ» ، قال الأمهقُ . مدَّ الجِراب إلى بالبور .

«عِطرٌ سيرةٌ . مامنْ عطرٍ يستكمل سيرتَه كعطرٍ إلاَّ باقتباسٍ من سيرةِ الكافور» ، قال بالبور .

«أتمنحُ شجرةٌ كلَّ هذا؟ : هذيانٌ في الجذور . هرطقةٌ في الأوراق . نبوَّةٌ في الزهر» ، قال بيغون وهو يبعد الجِراب عن منخريه ، سائراً به في الهواء إلى تاهشين . «أيُّ دليلٍ أنتَ إنْ لم تَضعْ في مسالك هذا؟» ، قال ، فردَّ تاهشين وقد تجرَّعَ بأنفه من نبع الكافور اللامرئيِّ أثيراً مِدَقَّات وأَسْدِيةً :

ـ إنني أتنفَّس مايتنفَّسني .

رفع تالماجور جِراب الكافور إلى أنفه . أغمضَ عينيه على بروق الشَّفاعاتِ المشمومة :

ـ جذورُ العريقِ كلُّها هنا .

أعاد باكالبا أجربةَ المسك ، والعنبر ، والكافور ، إلى خُرْج جَمَله . وزَنَ في راحته حُقّاً صغيراً . فكَّ رباط غطائه في حذر . بلَّل طرفَ سبَّابته . غمسها في جوف الحُقِّ واستخرجَها تتلألأ بشذرات قليلة من شذرات الذهب . «ماذا تُسمُّون هذا؟» ، تمتم . هزَّ رأسَه منتشياً من نبض المعدن الحيِّ ، الساهر على البراعات . تنهَّدَ . تمتم . أسقطَ الشذراتِ عن سبَّابته في جوف الحُقِّ ، وأحكم الرباطَ عليه .

لم يعلِّق أحد .

في مجلسهم ، عصرَ ذلك اليوم الخاملَ ، قربَ البئر الثالثة ، تبادلوا ماتبادلوه من مطارحاتِ العقل في إنشاء اللسان ، متحرِّريْنَ إلاَّ من فقْه اللاَّتعيين . هُمْ سيقايضون بالأجربة النبيلة رِقاعاً من شؤون الكتابة ، ورِقاعاً من شؤون الرسوم ، في أسواق مودابوركْ .

لقد سقوا جمالَهم ، في وصولهم البئرَ الثالثة فجرَ اليوم الثالث من مغادرة البئر الثانية ، سَقْياً ، بعد الإظماء ، على ثلاثِ مراتبَ : نَهْلاً ، ثم شُرْباً مبتوراً ، ثم ريّاً بَطِراً فائضاً : ليس بعد البئر الثالثة إلاَّ النفقُ الحجرُ في جبل كاكونت . بعد النفقِ غَمْرُ الرمل والصَّخر في صحراء لوكهين .

نقوشُ النار ، المُوقدةِ ذلك المغيب ، وزَّعتْ تمائمها على وجوه الستةِ الأنفارِ ، الصامتيْنَ خشوعاً لهيكل النُّقصان الجَسُور في نهايات سهوبَ كاروكشين .

Rinkeby

نهض الذِّئبُ الأحمر من وراء النُّصب الإسمنتي ، المنحوتِ بلا مهارةٍ ، على شكلِ ميزانٍ قديم ، ذي كفّتين . تثاءب في كسل فارتعش لسانُه المشدود المتقوّس . تشمّم الأختامَ اللامرئية في ذاكرة النور الشاحب منعكساً ، من أعالي نَفَق رِنْكبيْ ، على ماءٍ راكد . نظر إلى صورته في الرصيف المبتلّ . كلّمها صامتاً بلسان المشيئات المعتذرة .

دار على نَفْسِه جذلانَ كأنما يداعب ذئبةً أسرفَتْ في الثناء على فروِه النظيف . قفز مرتين إلى أعلى في المكان ذاته . ضمّ ذَنَبه بين قائمتيه الخلفيتين مقوّساً ظهره ، يتحيَّنُ عِراكاً يهدِّىءُ من لجاجة الروح العادية . أغمض عينيه برهةً في امتنانٍ لخياله كذئب ، ولظلّه الماهر في ترتيب النُّظُم الحيوانية كرؤيا . قدَّرَ لنفْسه المسافةَ بين الرصيفين المتقابلين على جهتَيَّ الأخدود ، الذي تخترقه سكّةُ القطار . زحفَ بصدره زحفاً على الإسمنت ، ثم ارتفع عالياً ، باندفاع من أملِ الخصائص في أحكامِ دورتها . مزّقَ الهواءَ فوق الأخدود طائراً . حطَّ على الرصيف الآخرِ . أقعَى مُطلِقاً عواءً مُهَذّباً لا صخبَ فيه ولا غرور .

«عُدْ» ، قال الشاب الجالس على كرةٍ حجرية من المرمر الشديد

الزرقة ، في المعْبر الدائري ، الذي يصلُ جهتَيٌ النفق أحدهما بالآخر عبر الجدار ، ذي النتوءات النقوش . نَقَر الإسمنت بين قدميه بعصا لُعبة الهوكي نقراً شاحباً : «عُدْ» ، قالَ الكلمةَ ثانيةً ، فارتفع الذئبُ في الهواء ليستقرَّ على الرصيف الذي جاء منه . قوَّس ظهرَه متصنِّعاً شكلَ يقينٍ مُغْتَصَب . طأطأ رأسَه . كشَّر عن أنيابه مَزْجاً بين أدب الوعيد وأدبِ الحيلة . سار صوب الشاب الجالس على الكرة الحجرية . تشمَّم طَرَفَ عصا الهوكي المفلطحَ ، وجثم على الإسمنت ، ترقرق خضوعٌ ماجنٌ في عينيه الماجنتين .

«بأية لغة سنكلِّم النبيَّ القادم إلى عَشاءِ يألُوْه - أبي؟» ، قال الشاب ، ذو الشعر الطويل ، المائل إلى حُمرة ناطقة بلسان الباطن الذهبيِّ . لمس بإحدى يديه طوقَ الخرز الكهرمان حول رأسه . تمتم : «لِمَ تنظر إليَّ هكذا كشقيق يريد الزيادةَ في حصَّته من حلوى الصباح؟ . أحملُ على ظهريَ أبديةً مكسورةَ الظَّهْر من حِمْل الأملِ الثقيل - أملِ الإنسان في معجزةٍ لا ضرورةَ لها . لم أجاوز الرابعة والعشرين من عمري بعد ، لكنني أنجزتُ العبورَ بكَ ثلاثة آلاف نفقٍ ، مُحْتَمِلاً شكواكَ من جدارة أن يكونَ للحيوان خيالُ شعب» . نقر الإسمنتَ المبتلَّ بعصا الهوكي ثانيةً . رفع الذئبُ صدرَه مرفِّهاً عن نَفْسه بنظراتٍ إلى رسوم شجر الفيغنونيا ، والميموزا ، على جدار نفق رِنْكَبي . أطلقَ عواءً قصيراً - عواءَ العازف بأنمل الصدى على وتر الصوت . أغمض عينيه يُصنِّف السهوبَ ، التي لم يَرَها بعد ، جِراءً تتقافز حول أنثاه الطليقة ، هناك ، في الجَمالِ الهواءِ ، المُرْضعِ بهائمَ الحقائقِ من أثدائه السبعة .

مرَّر الشاب ، الطويلُ بلا نحافةٍ ، طرفَ عصا الهوكي المُفلطَحَ على

فرو الذئبِ في دِعةٍ . «هلاَّ وصفتَ لي ماتراهُ فيَّ؟ أَعَبرتُ خيالكَ أسيراً كالحكمةِ كما عبرتُ خيالَ أبي - يالوه ، في ماضي خياله المهدَّد ، أبداً ، بشعوبٍ تقايض الندمَ بالندم؟ بعد الوعيد تأتي النِّعمةُ - تلك الأتانُ المحمَّلةُ بملحٍ أزرقَ . نعمةٌ معجزةٌ كالنَّهيق» ، قال ، ثم نهض عن الكرةِ المرمرِ ، السوداء ، الشَّغوفة بعقلها المنعكس في الماء الراكد على أرض النفق : «أسألُ نَفْسي ، أبداً ، آخرَ نهاري ، إن كنتُ قتلتُ أحداً؟ لا دم على يديَّ . لا دمَ تحت لساني . فمي نقيٌّ كصرخةٍ نقيَّة . لي خطواتٌ ناقصة في البر ، كاملةٌ في المياه . عقلي كما تريدُ ، أيها الناظر إليَّ كشقيق يستزيدُ من حلوى الصباح . عقلي عصايَ هذه - عصا اللعب بكُرَةِ الخَيار الواحد في ساحات الهياكل الذهبية كلِّها» .
دار من حول الذئب الأحمر ، المسترسلِ في نجواه إلى السهوب المفقودة : «أتُراني أحدِّثكَ ، أنا يُوْشْ ، ابن يالُوْه ، بحديثٍ سمعْتَه ، من قبل ، أمام بوَّابة الرمال الموعودة بعبور الموعودين بأقدارٍ من رسوم الملوك؟ لا أعرف الخوف ، مُذْ جعلتُ الخوفَ كلبيَ ، لكنني حليفُ الرِّيبة في الكلماتِ الأكثر دهاءً . قلقي دِينٌ كالمكانِ لا يَمْتَلِكُ ولا يُمْتَلك» ، قال الشابُ يُوْش ، ذو السترة السميكة ، المبطنة بريش الإوز الغاضب - إوزِّ خليج مورتفيك المتمدِّد على أريكة البحر النُّجميِّ . نظر إلى نَفْسه في بقعة من الماء الراكد على الرصيف . رتَّب بإحدى يديه خصلاً شاردة من قطيع شَعره الطويل . تلفَّت إلى جهات النفق المزدوج ، الفارغ إلاَّ منه ومن ذئبه . صمتٌ حليقٌ استعرض صورتَه في المرايا - الإسمنتِ . صمتٌ وسيمٌ ، شابٌ كَيُوْشْ ، زرَّر قميصَ الهواءِ المفتوحَ ، ودلَّك صدغيه بعطْرِ المهجورِ . تكلم يوش بنجوى المُمْتَحنِ لسانَ الضرورات : «بمائة شَعبٍ ، أو بشعب واحد ، تمكن تسويةُ خلافٍ بين

شقيقين يؤجِّلانِ تسليمَ الله ورقةَ عَهْدهما أن يبقيا شقيقين بلا ضمانة . لا ضامنَ لشيء ، على أية حال ، في مواثيق المُختاريْنَ . بمائة شعبٍ ، أو بشعب واحد ، تكتمل الآثارُ العمياءُ لعبور اليأس شهياً» .

هزَّ الذئبُ جسدَه ينفض عن فروه البذورَ ، التي نثرها عليه فجرٌ لا يُرى ، في سهوب شقَّقَها الفجرُ بمحاريث الرُّسلِ الخارجين عن أطوارهم . دار من حول يوش المنتصب ثابتاً يتأمل رسومَ شجر الفيغنونيا ـ شقيقات العلامات المنكوبة بحروب الزَّهر ، ورسومَ الميموزا ـ شجرةِ حياءِ اللون من عناق الذهب للذَّهب ، أو «القَسَم الأصفر» ، بحسب تعريفها في منطق الذاهليْنَ . تمسَّح الذئبُ بساق الشاب ، في خضوع لن تؤكده يدُ الحقيقة الممدودة ، بأصابع من شَكٍّ ، إلى الأيدي المستريِّحة في غمامات العقل . «كُلُّ مكانٍ شكٌّ . كلُّ شكٍّ مكانٌ مرفَّهٌ ، ذو أثاث كأصوات المُغنِّين» ، قال يوشٍ . انحنى على الذئب : «أرى في عينيكَ لوماً أيها المستزيدُ من حلوى الصباح . عَلاَمَ؟ شعبٌ واحدٌ ـ أصارحُكَ ـ لا يكفي لترتيب مكانٍ واحد بحقائق لها خيال الحيوان . مكان واحد لا يكفي لتوزيع شعبٍ ، كالسَّماد ، على حقوله ، كي تنمو بذور الأساطير ملتمعةً بشعيرها . ثمَّتَ أمرٌ علينا أن نتفكَّر في تعديله بما يناسب اختيارَ شعبٍ لحلم ، واختيارَ حلم لشعبٍ اختياراً عشواءَ له سحرُ الغضب لا الحكمة . الميزان ثابتٌ كإسمنت نفق رِنْكَبيْ هذا . آلهة ثابتة في صورها الحجرية . ملائكة ثابتة في صورها الحجرية . قيامةٌ مذعورة ينعكس هلعُها في الماء الراكد على رصيف نفق رِنكبي» . استقام صارخاً : «رنكب يـ يـ يـ ي» . ضرب بعصا الهوكي الرصيفَ : «في كل عُشْرٍ من المَدِّ هناك من يكلمُهُ اللهُ .

في كل عُشرٍ من الجَزْر هناك من يكلِّمُ اللهَ . أنا في حيرةٍ من الأعشار المقسومة بين العَدم والخَلْقِ ؛ بين الإنسان وهذيانه ؛ وأرى البحر سابحاً من حولي كسمكة القُدِّ ، والسماءَ سابحةً من حولي كدلفين» . لمس براحة يده ظهرَ الذئب : «أأنا شعبٌ في تيه بين خيالي وخيالكَ ، أيها الناظرُ إليَّ كشقيق لا يريد المزيدَ من حلوى الصباح؟» .

تناثرتْ قهقهاتٌ بعيدة من مدخل النفق جنوباً . تدحرج خَفْقُ نعالٍ صلبةٍ على الرصيف المغسول آلياً ، في الأرجح ، على صوتِ صفيرِ عمالِ التنظيف في أنفاق القطارات . أصغى يوش . أصغى الذئبُ . تسع عباءات من قماشٍ أسودَ رقيقٍ اخترقتِ المشهدَ الصامت ، من المنعطف ، الذي يحجب المدخل . فتياتٌ في عباءات تسع ، منسدلةٍ على ملابسهن حتى أعقاب الأحذية ، اخترقن المشهدَ ، وقد غطين رؤوسهن بخُمُرٍ بِيْضٍ لا يبرز منها غيرُ وجوههن ، في احتشام يضلِّلن به مَلَكاتِ الإغواء ، في الذاكرة ، وطبائع الرغبة في الطينِ الذَّكر ، المشويِّ صلصالاً ببلاغة الشهوات الأزلية . فتياتٌ ملتمعاتُ الجلود بسوادِ شروق كُنَّ ، أولئك ، المقهقاتُ بحناجر مطلية بزيت الدعابة ، وزبدة المرح . توقفن بغتةً . فوجئن بالشاب يوش . تبادلن نظراتِ الفضول ذواتَ الطنين كنحل زَهَر المنثور . تقدَّمنَ منه بخطى مغسولة بظلال عباءاتهنَّ ، ثم توقفْنَ إذْ صِرْنَ على بُعد أربع أذرع .

«ماذا يفعل هذا الوسيمُ هنا؟» ، قالت إحداهن ، فلكزتْها جارتُها بمرفقها :

ـ إنه يسمعك ، يالسانَ الشمندر .

رفعت الفتاةُ ، التي تحدَّثت أوّلاً ، صوتَها قصدَ إحراج جارتها :

«ماذا تفعل هنا ، أيها الوسيم؟» .

التفَّتْ الفتياتُ التسع إحداهنَّ بالأخرى ضاحكات في حياء .

أمعن يوش النظرَ إليهنَّ مُخْتَرِقَ الخيال بمجابهات بين الفكاهة والحَذَر : «بأية لغة يتكلَّمن؟» ، ساءلَ الذئبَ المُقعي ، الشاردَ في عبور خياله بالصور المُعَذَّبة إلى الكلمات . كرَّر سؤاله : «بأية لغة . .» ، قال ، مظلِّلاً فضولَه بيدِ فضولٍ آخر من السوادِ الشروق في بشراتهن ؛ السوادِ المتكتِّم على معجزة اللونِ ؛ الغامضِ المُمْتَدَح كأخيه العماءِ الأصل .

«لونٌ نبيٌّ هذا السوادُ؟ خبزٌ في ولائمَ اللون إذْ يعتنقُ اللونُ دِيْنَ الشكل . خميرةُ كلِّ لون . سوادٌ عقلٌ» ، تمتم يوش هاذياً . لمسَ رأسَ الذئب : «قُلْ شيئاً» .

«إنه يكلِّم نَفْسَه» ، قالت فتاة أخرى .

طرقَ يوش الرصيفَ بعصا الهوكي طَرْقاً ككلامٍ وديعٍ من صوتٍ صِرْفٍ بلا حروف . ابتسم لهنَّ :

«بأية لغة قَدْ تخاطبْنَ نبيَّاً إذا حضر العَشاءَ في بيوتكنَّ؟» .

ضحكتْ فتاةٌ في السِّرب : «أَسمعتُنَّ هذا الوسيمَ؟ مالغتُه؟» . قالت . حدَّقتْ واحدة أخرى ، في السِّربِ السارح في مراعي السواد ، إلى يوش ، بعينين احتشدتِ الأقمارُ رعاةَ فضَّةٍ في حدقتيهما . كلَّمته بصوتٍ مبتلٍّ : «ماذا تفعل هنا؟ لم تَعُدِ القطارات تعبر نفقَ رِنْكَبي ، أيها الوسيم» .

ضحكت الفتيات جميعاً . ضحكتْ عباءاتهنَّ . ضحك السوادُ الشروقُ . فَرَمَتِ الظلالُ النورَ بمديتها ـ مدية الماءِ في نوافير المعلوم . لوى يوش عنقه صوبَ الذئب : «كُنْ متأهِّباً ، أيها الناظر إليَّ كشقيقٍ شَبعَ من حلوى الظهيرة . كُنْ متأهباً . إنني أسمع عجلاتٍ قويةً على

طُرُقِ الخفيٍّ ، وأزقّتها المرصوفة بتأنٍّ» . أحنى رأسه للفتيات التسع ، اللواتي استدرْنَ عائداتٍ من حيث جئن ؛ مبتسماتٍ ، يتلفتن إليه بعد كل خطوتين .

أطلق الذئبُ الأحمرُ عواءً خافتاً كنميمةٍ لم تكتمل .

هواءُ النَّفق المؤدَّبُ

بعد يوم ، أو أقلَّ ، من مغادرة الستةِ الأنفار البشَرَ الثالثةَ ، لمستْ أخفافُ جِمالهم البرزخَ الحجرَ . سلكوا البرزخَ لا يُجاوزونَه أو ينكفئون ، في الحدِّ الواضح ، الذي يخيط بإبرته ذيلَ عباءة جبل كاكونت بحوافِّ الدرع الأخضر لسهوب كاروكشين .

تاهشين ، وتالماجور ، الدليلان ، امتدحا ، ببصرهما ، المعلومَ الأليفَ ـ شفيعَ الأدلاَّء ؛ ودلَقا آخرَ قطرات من خمرِ حليب الجياد على الأرض تبجيلاً للجبل : «يا أُخوَّةَ السَّفح الأعظم» ، ردَّدا بلا صوت .

«هذا هواءٌ مبتردٌ في عبوره الصَّدْعَ المتكلِّمَ» ، قالا لرهْطِهما ، وهما يتنشَّقان الخصائصَ وأسبابَها برئتيْن من فِراسةٍ وقياس . «كلُّ هواءٍ يعبر الصَّدْعَ النفقَ ، في جبل كاكوكنت ، طاعةٌ للغامض المعتدل في أناقته . يتلطَّفُ الهواءُ ، ويتهذَّب إنْ تلطَّفَ الغامضُ للهواءِ وتهذَّب» .

أحنيا رأسيهما للجبل : «نحن في عُهْدَةِ أنفسِنا أولياءُ على العرْق المُحْتَجب ـ عرقِ الأدلاَّء في حقائق الظاهر . ماتراه هو مانراه ، وليس غيره . مالا نراه هو غير ذاتِه ، أيها الجبل» .

رفعا بصريهما إلى الأعشاش الجليد امتداحاً للنسور الأزلية جاثمةً ، بثقة البياض وعَدْله ، فوق أكتاف كاكونت الجبل : «أنتَ تؤثِّثُ صحراءَ لوكهيْنْ بتماثيل ظلالك . خَلْفَكَ ريحٌ قيْدٌ ، وقيْظٌ جَبَلٌ . اعبرْ بنا ـ نحن الودائعَ ـ إلى صحراء لوكهين . خُذْ عَهْداً على صحراءِ لوكهين أن تعيدنا إليك» .

أنيقاً عَرَضَ السفحُ الحجريُّ ، بحَدَباتِهِ ومطاويْهِ ، روحَ الحجر الخفيفةَ على أبصار الدليليْنِ ورهْطِهما .

منذ سبع سنينٍ لم يتقدَّم تاهشين ، وتالماجور ، قُطُرَ الجِمال إلى إقليم مودابورك . بطَبْع المُشرِّع للخفيِّ المُنْتَظِم حِساباً وصِفات ، ولعقله المؤيِّدِ للمرئيِّ المُتَستِّرَ على ذاته حسَاباً وصِفات ، انتهج تاهشين نهجَ الأدلاء مع أبيه صبيّاً ، ولم يَزَلْ . أما تالماجور ، الذي رفعتْه حظوظُ الخِصاء صغيراً إلى الفوز بلذائذ المحظور في مقاصير الحريم ، فقد رفعَهُ ، تيغوتكين شاهْ ، في كهولة تالماجور ، إلى آمريَّةِ الأدلاَّء والقيَّافين ، المُلحقَة بخانِ أضياف البلاط : «مامِنْ سلوقيٌّ ؛ مامِنْ خُلْد أعمى ؛ مامِنْ أيلٍ ؛ مامِنْ جَمَلٍ ؛ مامِنْ فَنَك يزاحمُك في الاهتداء ، بالرائحة ، إلى أسماء الداخليْن إليَّ والخارجين من مجلسي . أنتَ كليمُ الروائح ، ولمنخريك عينان كعينيِّ النِّسر ، ياتالماجور . خُذْ بابَ الأدلاَّء في الخان ، بدلَ بابِ الحريم . فلْيَنْتَفعْ بك عقلُ المسالك» ، قال الطاعنُ في سنينَ بلا عددٍ تيغوتكين ـ سليلُ البُعْد الأوسط مِنْ بقايا الممالِك .

«لا شيء تغيَّر في الجبل» ، تمتم تاهشين .

«لا شيء تغيَّر في المدِّ الحجريِّ» ، تمتم تالماجور .

«هاهو النفقُ» ، صاحا معاً .

استدار الستةُ الأنفارُ من خلف أكَمةٍ متصدِّعة ، مجاوزيْن البرزخَ ، الذي لم يحيدوا عنه حتى لحظتهمْ تلك . قادوا جِمالهم ، في تُؤَدةِ المُحَاذِر ، إلى مجرى الهواء المُبْتَرِدِ بعبوره مؤدَّباً بين يديِّ الغامض .

Rödmansgatan

اقترب الشاب ، ذو القبعةِ الصوفِ الزرقاء من القطار الواصل توّاً إلى النفق . انفصل عن الجَمْع المتأهِّب ، بأقداره المتأهِّبة ، للصعود إلى المقطوراتِ ـ الزمنِ ذي المقاعد المحسوبة بأرقام الكمال المروَّض . استرقَ النظرَ إلى مَنْ يجاورونه يَزِنُ مدى غفلتهم عنه . دسَّ يده في كيس القماش البُنيِّ المتدلي من كتفه اليسرى . استخرجَ أُسطوانة صغيرة معبَّأة بلونٍ سائلٍ مضغوط . التفت إلى الوراء يستكمل الحيطةَ من عين شاهدٍ ، أو لَحْظِ رقيب . اطمأنَّ عِرْقُ المحظور في عضلة خياله . ضغط على الحَلَمَة النافرة أعلى الأسطوانة المعدن فانفلتَ اللونُ المضغوطُ أحمرَ من ثُقبٍ فيها . لَمْحاً ، على عَجَلٍ مُدَرَّبٍ باحتراف ، رسم الشابُّ ، الهادئُ العينين ، خطّاً رفيعاً ، ملتوياً . تراجع عن القطار ، الذي سكبَ مغادريْه من إبريق فراغه ، ورشفَ الداخلين إليه من إبريق فراغ النفق .

شيَّع الشابُّ القطارَ راضياً عن هِبَته من اللون على هيكله الملتمع .

استدار متَّجهاً إلى مقعد خشبي لصق جدار النفق . تسمَّر . انكمشَ جلدُ جبينه : شُرطيان ـ رجل ضخم ، وامرأة نحيفة قليلاً ـ كانا يرصدانه ، واقفيْنِ قرب مُنْعَطفِ الجدار ، الفاصل بين اتجاهَيْ

سكّتيْن . أُحرِجَ قلبُه . فكّر ، لوهلة ثقيلة ، أن يُسرع الخُطا صوب المَخْرج المعاكس لوقوفهما ، لكنْ رَابَهُ أنهما لم يتحرّكا في اتجاهه . ظلاّ محدِّقيْنِ إليه ، بفميْنِ يتبادلان الهمسَ حرِّيفاً من غير أن يلتفت أحدهما إلى الآخر . ظلّ الشابُّ ، ذو السترة الصوف الحمراء ، السميكة ، الضيقة العنق ، محدِّقاً إليهما بدوره ، متأهّباً - بعدَّة الحيلة - لاتخاذ تدبيرٍ يناسب المغادرةَ أو البقاء . استجار بالبديهة في تأويل موجباتِ الموقف . دار على نَفْسه قليلاً يتصنّع البحث عن شيء مفقود . اقترب من المقعد الخشبي ، ثم ابتعد عنه . واجه لوحَ المواعيد الزجاجيَّ يستعرض الزمنَ ثابتاً في خلّ الأيام . أدار للّوحِ ظهرَه يُقطّعُ الرسومَ على الجدار الأقرب إلى خندق السكّة ، بشفرةِ بصره ، مربّعاتٍ تتهاوى في عُزلة النور الباردة : قبّعات مرسومة على هيئة سيارات . مزيجٌ من طرافةٍ ثقيلة ، وخمولٍ موزّع أبعاداً في طُرُق مدينةٍ كرويّة . تلمّس أسطواناتِ اللون المضغوط ، الصغيرة ، في كيسه الحالِم ، مُسْتَرِقاً النظرَ ، برهة بعد أخرى ، إلى الشرطيين ، الثابتيْنِ في مدار هيبتهما .

توافد خَلْقٌ من المداخلِ إلى موعد النُّقلة الجديدة من معاصر مكانٍ إلى معاصِر مكان آخر ، متأهّبيْنَ لإفراغ جيوبهم من قِطع السماء ، جالسيْنَ أو واقفيْنَ ، ريثما يجمعون سماءً أخرى ، خارج نفق رُوْدْمَانْسْغَاتَانْ . كلُّ قادم إلى نفق رُوْدْمَانْسْغَاتَان يحمل معه سماءً مُقْتَطَعة من حديثٍ عابرٍ ، وكل خارج من النفق يلتقط أوّل مايلتقط ، السماءَ الأقربَ إلى يديْ وجْهَتِه . القادمون يجلبون معهم سماءً تتراكم في نفق رُوْدْمَانْسْغَاتَان . والشابُّ - ذو العينين السوداوين ، الهادئتين ، غير المتناسبتين مع بشرة بيضاء يتناثر عليها نمشٌ مشرَّدٌ - يريد التقاطَ السماء رسوماً متقطعة ، بشبكة اللون المضغوط في

أسطواناته الصغيرة، عبر حروف لم يهتد، بعد، إلى تسوية خلافه معها. إنها لا تنتسب إلى لغة. لكنه يوثّقها، حرفاً بعد آخر، في هبوب المصادفة المُرْتَجَلة، على شبرٍ من هيكل كل قطار يعبر نفق رُوْدْمَانْسْغَاتَان.

تسعة حروف بتسع مصادفات، أنجز منها الشابُّ رسمَ حرف واحد، تحت بصر الشرطيَّيْن. تلزمه ثمانيةُ قطاراتٍ بعدُ.

اختلط الوافدون الواقفون به. حجبوه. وصل القطارُ. فُكَّتِ الأغلالُ الآليةُ عن أبوابه. خرجتْ فلولُ الأسرى. دخلَ المستسلمون أسرى ممتنَّيْنَ لأَسْرِهم. ضغط الشابُّ على حلمة أَسطوانته فاندفع الرَّشَاشُ اللونُ نَفْخاً قوياً على هيكل القطار. ارتسمَ حرفٌ شَكْلٌ، لا ينتسب إلى لغة، على صفيح إحدى المقطورات.

غادر القطارُ بحرفِ المصادفة المُرْتَجَلِ الثاني.

ارتدَّ الشابُّ خطواتٍ إلى الوراء. استدار إلى حيث كان الشرطيان واقفيْنِ، فألفاهما واقفيْنِ. وضع يديه في الجيبين الجانبيين لبنطاله الرمادي. عاد إلى تأويل الرسم الجداريِّ بعينيه، وتأويل الصمتِ في النفق بأذنيه. خَلَطَ النفقَ بالسماء، المتروكةِ قُصاصاتٍ على مقاعدِ النفقِ ورصيفه. زعم لنفسه، لحظةً، أن في مستطاعه جَمْعَ براهينَ لا تُحصى عن انتحار حيتان، وانتحار شجرٍ، وانتحار ظلالٍ، وانتحار كلماتٍ، وانتحار مجرَّاتٍ أهانَها مزاجُ الضرورةِ المتقلِّبُ. حرك كتفه اليسرى فتصادمتْ أسطواناتُ اللون المضغوط في مرح. أشغَلَ خيالَه، المُقسَّمَ جبهاتٍ على العوالم المسحورة، بالخريطة الكبيرة لمسالك القطارات: تفاصيلُ مجنَّحةٌ؛ لكلِّ تفصيلٍ إلهٌ يحيط به رقباءُ من حقائق الهندسة.

خـريطةٌ كليَّـةٌ للتـفـصـيل الأرضيِّ ؛ للتـفـصـيل المروَّض ذي الجناحين . خضوعٌ مُحْكَم . وبإزاءِ ذلك ثمَّتَ تحالفُ آلهةٍ لاحتواء الشَّغَبِ في السماء أوّلاً .

عجنَ الشابُّ خياله بطحين الخطوط المجنَّحة في الخريطة ، ومائها . أضاف إلى العجين خميرةً من بزور السماء المتساقطة تحت مقاعد النفق . سوّى العجينةَ كرةً . رقّقها . بَسَطَها قُرْصاً على صاج الممكنات المُحمَّى . قضَمَ الرغيفَ إذْ نضج . قسَّمه ثلاثَ كِسْراتٍ . وضع كِسْرةً في كيسه ، وحمل ماتبقّى إلى الشرطيَّيْن .

لكزتِ الشرطيةُ رفيقَها الشرطيَّ بمرفقها ، وهما يريان الشابَّ قادماً صوبهما بيدين ممدودتين ، فارغتين كما يفعل متسوِّل . حاذاهما الشاب . حاد عنهما ، ثم جاوزهما باتجاه المَخْرج . استدار ورجع صوبهما ، من جديد ، على النحو ذاته ممدودَ اليدين . حاد عنهما واستمرَّ في سيره الغريب حتى بلغ مقعداً . جلس عليه . أحنى ظهره ناظراً إلى الأرض كأنما أضاع مفاتيحَه في الطريق إلى خزانة الوجود المُقْفَلة . توافد ركّاب جُددٌ إلى مواعيدهم القديمة مع ما يعرفون وما لا يعرفون . ثُلّةٌ من المراهقين اجتمعت على الرصيف ، صاخبةً ، تخضُّ علَبَ شرابٍ غازيٍّ وتفتحها فيفور السائلُ جامحاً برغوته . حضر القطارُ بحاشيةٍ من زوابع الهواء . تحركتِ الشعورُ فوق الرؤوس تحيةً مُنْتَزَعةً عُنوةً ، وخَفَقتْ أذيالُ المعاطف شوقاً إلى لا شيء . نهض الشاب . أخرج أسطوانةً من كيسه . ضغط على حَلَمةِ المِكْبَس فانفلتتْ رشْقةٌ من اللون على جدار المقطورة . خُتِمَ عماءُ الهيكل بحرفٍ شَكْلٍ .

تراجع الشابُّ بعد إتمام صفقته المُعْلنة مع المحظور ، غيرَ مبالٍ بمَنْ ينظرون إليه . التفتَ إلى الشرطيَّيْن المُحدِّقيْنِ إليه بشراهةٍ تراكمتْ

عبر قرون . اتكأ بكتفه إلى جدار النفق ، مُستعرِضاً على هدوء خياله الرسومَ ، التي تواجهه نافرةً في الجدار الآخر : قبعاتٌ مرسومة على هيئة سيارات ، في طرقِ مدينة كروية . إيحاءٌ فكاهيٌّ مُعْتَصرٌ من شقاء الشكل المُعْتَصَر . خمولٌ كما بعد جريمة . مأساةٌ موزَّعةٌ افتراضاً في إحساس بدورة ضائعة . مكانٌ ، أو لا مكان ، مجتمعان معاً على ترتيب صفقةٌ للمأساة المُفْتَرَضة . المأساةُ لا تستطيع توصيفَ نَفْسِها مأساةً . فهي ، في حدوثها واقعاً ببرهانِ الألم ، قَدَرٌ فقيرٌ يسرق كل شيء من أجل الحصول على وجبةٍ ساخنة . وهي ، في حدوثها كتابةً ببرهان البراعة على ابتكارها ألَماً في الحروف ، أو التدوين باللون ، قَدَرٌ ينسى دورَهُ قبل الصعود إلى خشبة المسرح بخطوتين .

المأساةُ طَبْعٌ كرويٌّ .

تزاحمَ وافدون جُددٌ بانتظار قطارهم . جاء القطار . مضى حاملاً على هيكله حَرْفاً شكلاً قذفتْهُ أَسطوانةُ اللون من جوفها المُحْتقِن .

قطار خامس للحرف الخامس .

قطار سادسٌ للحرف السادس .

قطار ثامن . . .

لم يعد الشابُّ حذِراً . باتت أسطواناتُ اللون حُرَّةً في مَنْح شفاعتها ، أمام عيون الخارجين من القطارات ، والداخلين إليها . لكنه ، حين أنجز الوشمَ الثامن ، تحديداً ، على هيكل القطار الثامن الأنيق ، وعاد أدْرَاجَهُ ، في هدوءٍ مُمْتَدَح ، إلى المقعد الخشبيِّ ، تحرَّك الشرطيّان في اتجاهه . كان مفاجِئاً له أنْ يتحركا بعد ذلك السكون الطويل المنحوت حول جسديهما نَحْتاً مُحْكَماً . رَصَدَهما قادميْنِ بلا فزعٍ . وقفا إلى جانبيْه . دار بوجهه عليهما من مجلسه . أومأت إليه

المرأةُ الشرطيةُ أن ينهضَ ، فنهضَ .

«ماذا فعلتَ؟» ، ساءلتْه بصوتٍ فيه نبرُ الدَّهَش .

«لم أفعل غيرَ مارأيتماني أفعلُه للمرة الثامنة . وشمتُ القطارَ بحرفٍ ثامن» ، ردَّ الشاب . مدَّ يده مُصَافحاً : «أنا إِشْمَانُوْ» ، فتجاهلتِ المرأةُ النَّحيفة يدَه . مال عليه الشرطيُّ الضخم كأنما يصغي إلى نبض قلبه : «ماالحماقة التي ارتكبتَها ياإشمالُو؟» ، قال وهو يمضغ حروفَ اسم الشابِ في احتقار . مال بوجهه إلى شريكته في المهنة : «جمعَ أبواهُ حروفَ اسمه من أسواق السَّمَك . أتحبين السمك؟» ، ساءلها ، فردت :

- لا أحب السمك .

«أنا ، نَفْسي ، لا أحبُّ السمك . أتحبُّ السمكَ ، ياإشمالُو؟» ، قال الشرطيُّ الضخم .

«اسمي إشمانو . هل تريدان اعتقالي؟» ، قال الشاب . ضمَّ معصميه ، أحدَهما إلى الآخر : «قيِّدا يديَّ . خُذاني» .

نفخت الشرطية من فمها على عينيه : «أفِقْ . لِمَ فعلتَ هذا؟» ، ساءلتْه بصوتٍ ينزفُ امتعاضاً ، فرد إشمانو : «أكتبُ اسمَ النبِّ القادم إلى عَشاء أبي يالُوهْ حروفاً مقطَّعةً في أشباه صور . دوَّنتُ ثمانية . بقي حرفٌ واحد» .

«لا نسألك ، ياابن أسواق السَّمك ، عمَّا تدوِّنه . لا نسألك عن حروف اسم نبيِّكَ ، أو عن مهارتك التافهة في استخدام أسطواناتِكَ الضَّراطِ . بل عن اللون» .

«اللون؟ مابه اللون؟» ، ساءله الشابُّ وقد جذبَهُ الُّلبسُ فأيقظ فيه اضطراباً .

«الأبيض» ، قالت الشرطية بصوتٍ موبِّخ فيه تذكيرٌ . «الأبيض» ، قال الشرطيُّ بصوتٍ تهويلٍ . تابعَ وهو يكادُ يرمي بجسده الضخم عليه : «هاتِ أسطوانة اللون الأبيض» .

القطارُ الثامنُ ، ذو الهيكل الملتمع بزرقةٍ انتهبتْها بروقُ السواد ، أغوى أسطوانةَ البياض في كيس إشمانو . حين دسَّ يَدَه في الكيس خرجتْ أسطوانةُ البياض . كانت متهيِّأةً ، بعلوم البزوغ الكُلِّي للمُدوَّناتِ الكُليَّة ، أن تُمرِّغَ أيَّ لونٍ آخر في لذائذ الشكِّ . البياضُ لذائذُ الشكِّ ؛ البياض الجباية للمُكوس من شعوب مابعد اللون . بياض مضغوطٌ في أسطوانةِ معدنٍ ، في كيسٍ ، نفخ من فمه روحَ الحرف الثامن على هيكل القطار الأنيق .

أخرج إشمانو أسطوانة اللون الأبيض من كيسه مُبَلْبَلاً . قدَّمها إلى الشرطية بإذعانٍ هادىء :

«مابهِ اللونُ الأبيض؟» ، ساءلها ، فردَّ الشرطيُّ :

ـ أأنت غبيٌّ ، أم تتغابى؟ .

«لستُ غبياً ، ولا أتغابى» ، قال إشمانو .

ـ «أأنت غريب عن نفق رُوْدْمَانْسغَاتَان؟» ، ساءلتْه الشرطية ، فردَّ إشمانو :

ـ لستُ غريباً .

«أترى ذرة بياض في هذا النفق؟» ، قال الشرطيُّ . صرخَ : «البياضُ محظورٌ في نفق رُوْدْمَانْسغَاتَان ، ياسليلَ السَّمك» .

«منذ متى كان اللونُ الأبيض محظوراً في هذا النفق؟» ، ساءلهما إشمانو بلسانِ المُستنكِر ، فالتفت الشرطيُّ الضخم إلى شريكته في المهنة : «قولي لِي ماذا أفعل بكيس بيضِ السمك هذا؟ ، انثريْ ملحاً

عليه . بدأتُ أشمُّ زَنَخَه» .

«الأبيض محظور منذ وُجِدَ نفق رُوْدْمَانْسْغَاتَان . لا يستطيع هذا النفق أن يتنفَّس بحضور البياض» ، قالت الشرطية . مدَّت يدها منتزعةً أَسطوانة اللون الأبيض من يد إشمانو : «أرأيتَ أحداً ممَّنْ يدخلون ، أو يخرجون من نفق رُوْدْمَانْسْغَاتَان ، يرتدي ثياباً فيها بياض؟» . نزعتْ قبعتَها عن رأسها . حكَّتْ مفرقَ الشَّعر . أعادت القبعةَ إلى رأسها . مشت مُغادرةً ، فمشى شريكُها الضخم ، ناثراً كلمات ذاتَ طنينٍ ساخر على أعماق إشمانو : «لا تبتسمْ . أَبقِ بياضَ أسنانك حيثُ لا يراهُ أحدٌ ، يازعْنفةَ الإسْقُمري» .

أدخَلَ إشمانو يده في كيسه ، متتبِّعاً ببصره الشرطيَّيْنِ وهما يغادران . تلامستِ الأسطواناتُ الصغيرةُ ، فتنفَّس الحرفُ التاسعُ الصُّعداءَ : جذَبَ شبكتَه ، التي انتشلتِ المعقولَ المُضَلِّلَ ، كحنكليسٍ ، من مياه الشَّكلِ الهائج .

سماءٌ متهدِّلة

أحكَمت الرعشةُ الباردةُ رباطَها على عنقِ الهواءِ حتى كاد الهواءُ أن يختنق . وَجَمَ الستةُ الأنفارُ . ذابتِ الألسنةُ .

بعد ثمانمائة ذراع ، في سكَّة النفَق الصخريِّ الملتوي ، صَدَمهم العمق المسدود بحجرٍ متهالك تساندَ فسكَّر جوانبَه فلا مُستطاعَ زَحْفاً ، لشخص واحد ، أن ينفذ مِن خَلَله .

كان نفقاً صُرِف في تقدير قياسه ، بالخُطى ، مايعدل ألفاً وسبعمائة ذراع . تواشجتِ الصخورُ الكبيرة ، في أعلاه ، فأحدثتْ سقفاً على طوله ، متوازناً ، رقَّنَتْهُ المشيئةُ أثلاماً وثغوراً يتدلى منها الضوءُ سلاسلَ في مُنحنياته ، واستداراتِه ، واستواءاته . تتفتح نهايةُ النفق ، بعد ألف وسبعمائة ذراع ، على صَدْع منكشف ، طليقِ الفضاء ، لا تنقضُ باسِطَتَهُ أثناءٌ ، أو عَطَفاتٌ : صدْعٌ مُرْسَلٍ إلىَّ غايته في البرزخ بين جبل كاكونتْ وصحراء لوكهين .

نوَّخَ الستةُ الأنفار جمالَهم ينزلون ، ويستقرئون الخمائرَ في طين الفجاءات .

«أهذه نبوَّةُ الحجر؟!» ، قال تاهشين بحروف سَقَت السخريةَ شرابَها في إِناءِ المرتَبك . أضافَ فكاهةً إلى ما ليس فكاهةً : «لو أملك

طبلاً صدَّعْتُ الصخرَ» .

رمقه صحابُه بازدراء ، في موقف تقارعتْ فيه أحوالُ قلوبهم كمناقير اللقَّلق . تمتم بالبور مُرْسِلاً نجوى الموبِّخ : «أيها الحجر المتهافتُ في رؤياه ، ياحجرَ كاكونتْ ، المرتدَّ عن نبوَّته . أيها اللاَّمؤْتَمَنُ على الأنساق ؛ المتعثِّرُ ؛ المرتبكُ ؛ الرثُّ اللوعةِ ؛ المُنْتَدَبُ على الخيبةِ . ياحجر كاكونت» .

تقدم تالماجور الأعرج متمايلاً صوب المَسَدِّ . لمسَ الحجرَ براحته مُشفقاً أن يوقظ جروحَ الحجر : «أيها العَدلُ ؛ المُحْيِيْ ؛ الولاءُ ؛ الصخبُ الصلبُ ؛ الضُحى الصلب ؛ الظهيرةُ الصلبة ؛ المساء الصلب ؛ الليلُ الحجرُ مريدُ المشيئةِ الصلبة . أيها البقاءُ المُمْتَحَنُ بما يُمْتَحَنُ اللهُ» . قبَّل ظاهرَ يدهِ إذ رفعها عن الصخر . بللَّ سبَّابته بريقه ومسَّ بها الصخر المنهار : «تذوّقْ بلسانكَ أملَ لساني» ، قال .

تواجَه الستةُ الأنفار يتجاذبون خيوطَ الحيرة من نَوْلِ الأحوال .

«أنعود إلى كاروكشين؟» ، ساءل بعضُهم بعضاً .

«كيف نعود إلى كاروكشين بخيبةِ رملٍ؟» ، ساءل بعضُهم بعضاً .

«بأيِّ قلبٍ سننظر إلى عيني تيغوتكين شاه؟ بأية عينٍ سنكلِّم قلبَه؟» ، ساءل بعضُهم بعضاً .

حمل تالماجور كِسْرةَ حجرٍ ، دعكَها بين راحتيه . أسقطَها فتدحرجتْ خطوتين إلى شماله . «مَنْ اهتدوا ، في عبورهم هذا النفق إلى دساكرمودابورك ، دحرجوا إليَّ ، مع كِسْرةِ الحجر ، خيالَ العبور إلى دساكرمودابورك من نفق الهواء . لن نرجع إلى كاروكشين برقاعٍ مؤجَّلة اليقين . تعالوا» ، قال .

عاد الستة الأنفارُ إلى مدخل النفق : «سنلتفُّ من حول النهايات

الجنوبية لجبل كاكونت» ، قال تالماجور الدليل . حدَّق طويلاً إلى وجه الدليل الآخر . خاطبَهُ : «إلى مَ تصغي ياتاهشين؟» .

«إلى اللسان ، الذي لم يكلِّم أحداً من قبل عن العبور إلى صحراء لوكهين من النهايات الجنوبية لجبل كاكونت . فلنفعلْ ذلك ، ياتالماجور» ، قال تاهشين الدليل .

بعد تسعة أيام أنجز الستةُ الأنفار انعطافتَهم المدوِّخةَ من حول الجذور الجنوبية لكاكونت . ألقوا إلى الحجر مفاتيحَ الظلِّ التائه ، وأقفالَ المُمكناتِ المرمَّمة على عجل . داروا من حول قوائم نهايات الحقل الحجريِّ ، النحيلة ، المتمدِّدة في الفراغ الشاحب . «أيها الرمل الشقيقُ» ، همست الجِمالُ .

تهدَّلتِ السماءُ حتى لامستِ الأرضَ بأثدائها التسعة - أثداءِ الريح الممتلئة بملح السُّحُب وكبريتها .

حرَّكتْ صحراءُ لوكهين ، في المديد الهائل ، المترامي أمام أعين الستة الأنفار وجِمالهم ، بَيْدَق الرمل الكاهن .

Skärholmen

«ألم تجد فتاةً أخرى ، ياابن القحبة ، غير ابنة خالتي؟» ، ذلك مادوّنته المرأة القصيرةُ الشعر ، كسطر أول ، في دفترها الأسود . تطلعت يمنةً ويُسرةً إلى الواقفيْن في نفق شَارْهُوْلْمِنْ بانتظار دويبةِ الحَريْشِ الآلية ـ قطارِ المعَاقِل الناجية . جلس شابٌ إلى جوارها . نظر إليها جانبيّاً . انحدر بعينيه إلى دفترها .

«أكتبُ إلى زوجي ، الذي اتّخذ ابنةَ خالتي عشيقةً» ، قالت المرأةُ الشاحبةُ البياض . بوغِتَ الشابُّ بإرسالها الكلامَ إليه صريحاً . جاراها فجاملها :

ـ أمرٌ مؤسف .

«لماذا هو أمرٌ مؤسف؟» ، ساءلتْه المرأةُ ذات العينين الساخرتين من إقامةِ الألم فيهما .

ارتبك الشاب؟ «ظننته أمراً مؤسِفاً . أليس مؤسِفاً؟» ، قال .

«سأعرف حين أنتهي من كتابةِ رسالتي إليه» ، ردت المرأةُ ، التي وضعت إلى جوارها قفصاً مستطيلاً فيه هِرّتان رماديتان . لم يتكلم الشاب . نظر إلى ساعته . دارت المرأةُ بوجهها إليه تستدرجه إلى ردٍّ . حوصِرَ الشاب : «لا أستطيع إلاَّ أن أتخيَّله أمراً مؤسِفاً» ، قال . فهزت

رأسها نفياً :

ـ أنا لا أتخيَّل .

بدا ردُّها ملتبساً عليه . قلَّب بديهتَه نَبْشاً :

ـ أليستْ لكِ أحلامُ يقظة؟ .

«لا أحلامَ يقظة . لا أحلامَ منام . لا أحلمُ . لا أتخيَّل» ، قالت . وضعتِ القلمَ الرصاصَ على الورقة . جرحتِ البياضَ : «ليس لعُرْيها ، بين يديْ رعشتَك ، عِقْدٌ أشملُ ببنوده ممَّا كانَ لعُريي ، ياابن القحبة» . توقفت عن الكتابة . نظرتْ إلى جارها على المقعد في النفق : «الأمر بسيط» .

كان ثقيلاً تحديقُها إليه من تلك العينين الملبَّدتين بإقامة الألم فيهما . اجتهد في استدراج الكلمات المُحْتَبِسة بين سطور خياله : «انظري إلى قفص الهرَّتين ذاك . أغمضي عينيك . استعيدي صورتَها على لوح عقلك الداخلي . افعليْ تكوني تتخيَّلين» ، قال .

«إذا أغمضتُ عينيَّ لم أتعرَّفْ إلى شيء . إن أغمضتُهما امَّحى كلُّ ماأعرف» ، ردَّت .

«كيف تعرفين القطارَ أنه قطار قبل مثوله أمام عينيكِ؟» ، ساءلها ممازحاً ، فردتْ :

ـ أعرفه حين أراه .

«تمزحين؟» ، ساءلها مبتسماً .

«لا أمزح» ، قالت .

«أتحاولين القول إنك ـ مثلاً ـ لا تستطيعين تخيُّل صورةِ أبيك ، في هذه اللحظة؟» ، ساءلها الشاب مرتاباً في كلامها ، أَجِدٌّ هو أم مزاح ، فأبدت المرأةُ استغراباً : «أنتَ تعني أبي يالُوهْ . أنا لِيْدَالْيَا ، بنت

أمي مِيريْما ، وأبي يالُوه . عمري إحدى وثلاثون سنة . لماذا تحدِّثني عن أبي؟» ، قالت . فنهض الشاب مرتبكاً : «لا أعرف أين يمضي بنا هذا التحادثُ ، أيتها السيدة . أعتذرُ . . ربما . .» ، قاطعتْه ليداليا : «سيجيءُ نبيٌّ إلى عشاء أبي يالوه ، الليلةَ» .

نهيقٌ خافتٌ سبقَ القطارَ العجوز في دخوله نفقَ شَارْهُوْلْمِنْ . تمتم الشاب «لقد وصل . .» ، بصوتٍ لم يظنَّ أن نَفَسَ السخريةِ الخفيفةَ فيه سيلمَس أذنَ المرأة ذات الشعرِ القصير جداً ، فرفعت وجهها عن دفترها إليه :

ـ هذا هو القطار ، إذاً!! .

لم تنهض . واكبت الشابَّ بعينيها صاعداً إلى إحدى المقطورات . جلس الشابُّ لصق نافذة . فتح قفصَ فضوله ملقياً بكلِّ مافيه صوبَ المرأة النحيفة ، الناعمة في شحوبها . غمزتْه ليداليا . ابتسمتْ : «تخيَّل أنني أتخيَّلكَ» ، قالت . تقشَّرتِ الحروفُ في الزئير المُعَذَّب للقطار المُعَذَّب إذْ تحرَّك . «ماذا؟» ، قال الشاب بعد فوات الأوان .

خلا النفقُ . قرَّبتْ ليداليا رأسَ قلمها الرصاص من حافة الهاوية في البياض . أنَّتِ الورقةُ : «عظامُكَ معتوهة إنْ قورنَت بالعظام . جِلدُكَ غمامُ السَّبخات في الأغوار المهجورة . جلدُكَ جلدُ البزَّاق . نظراتُك لزجة . جلدُكَ لزجٌ . نظركَ طعمٌ رطبٌ تحت لسان العُقعق . شَعركَ قَيْحُ خنزير يغوص ، رويداً رويداً ، في وحل . شَعرُك شتائم اليائسين . أنفكَ بَرَصٌ ؛ جدريٌّ ؛ حَصْبَة ؛ بَهَقٌ . فمك زبلٌ في حقل بلابذور ، ولسانُك شتاء طويل . لسانك كَمَخةٌ تفور من وعاءٍ يُسلقُ فيه رأسُ حمار . رقبتكَ مأزقٌ . كتفاك حمَّى جريحٍ هاربٍ . صدرك

وباءٌ . ذراعاك قناتان مسدودتان . بطنك صدأٌ . كبدك حفرةٌ يُرمى فيها الأثاثُ البالي . كليتاك كمَّاشَتانِ من طين . ردفاك جُذام . فخذاك حليبٌ مسموم . ساقاك مقبرتان . قدماك سُعال . قلبك . . آه ، قلبك ، ياابن دلفين الرماد ، جولةُ لصٍّ في تسع ليال متتالية على حظائر البقر . قلبك أزرارٌ في معطف مهترىء . قلبك أجْرٌ متأخِّرٌ ؛ قطارٌ متأخر ؛ موعد متأخر ؛ وجود متأخر ؛ حكمة متأخرة ؛ حصاد متأخر . قلبكَ قلبٌ متأخرٌ ؛ حياةٌ متأخرة ؛ إهانةٌ لا ردَّ عليها إلاَّ بعد فوات الأوان ، ياابن سماءٍ منتفخة بالبول كمثانة» ، كتبتْ ليداليا . رفعت رأسها عن دفترها المتمددِ مُطيعاً فوق فخذها اليسرى . تحسَّسَتِ الرسمَ الجداريَّ الصاخبَ بدببة زرقاء ، تطير من فوقها أسرابٌ من السلمون بلونٍ ناريٍّ . طأطأت رأسَها ، من جديد ، محدِّقةً إلى البياض الفَحْل . لمستِ الغشاءَ السِّريَّ برأس قلمها الرصاص : «خصيتاك بوَّابتان محترقتان . مَنيُّكَ ـ تفو ـ آخرُ ماسالَ من خيالك كذكر . منيُّكَ حانوتُ أكفان ؛ تبغُ لِفافة رطبة احترقتْ ثلاثةُ أرباعها . منيُّك نفقٌ تعبره بائعةُ علَف في مُدنٍ لا تشتري عَلَفاً . منيُّك قصدير محترقٌ ، ياابن صَحْنٍ متَّسخ لن يغسله أحد» . ابتسمت لنفْسها . وضعت يدها على القفص ، حيث الهرَّتان الصغيرتان مسترخيتان في كسَلٍ وديع . «ياابنتيَّ» ، تمتمتْ بلسانٍ عليه بَلَلُ اللوعة .

احتشد القادمون إلى النفق على رصيفه . حضَر القطارُ هادِراً يَغْلي ولأْؤه في قِدْر المواعيد . نزلَ المغادرون . صعد الورثَةُ الجدَدُ لكنوز الرحلة المنهوبة . لم تنهض لِيداليا عن مقعدها . أعادتْ قلمَها الرصاصَ إلى امتحانه بفقْه البياض : «أنجزتُ ماكان ينبغي لأحدٍ آخرَ أن ينجزه . لا متَّسَع ، بَعْدُ ، إلاَّ لتاريخ الوسائد . والبقيةُ هو ماتستطيعُ ـ أيها

المتلصِّصُ عليَّ ـ أن تأخذه من الحياة بشفقتها عليكَ ، وما تستطيع أن تأخذه من الموت بشفقتك عليه . غير أنَّ ما لا يؤخذ ، قطُّ ، من الإنسان ، هو بقاؤه ذاهلاً» . توقفت ليداليا عن التدوين . تمتمت «مَنْ أُخاطب بهذا؟» . نظرت إلى قفص الهرَّتين : «سأترككما ، ياابنتيَّ ، قرب الأدراج . ربما يأخذكما مَنْ يعرف النَدمَ أكثر منِّي» . بُرادةٌ من الألم تساقطتْ على رئتيها فسعلتْ . رفعت وجهها إلى الرسم الجداريِّ قِبالها : «لماذا كل هذه الدببة الزرقاء؟ دبٌّ أزرق ، واحد ، يكفي لترميم اللون المُغْتَصَب في فكرته الزرقاء . سمكة سلمون نارية ، واحدة ، تكفي لترميم النَّار الذائبةِ النقوش من شِدَّة فكرتها . نارٌ لها زعانفُ سلمون ، وزرقةٌ مُمَزَّقةٌ كاليقظة بمخالب دِببةٍ خرجت من كهوف نومها إلى نفق شَارْهُوْلْمِنْ ـ نفق المتوازيات المطحونةً» .

وضعت ليداليا دفترها على المقعد قربها . فتحت حقيبتَها المعلَّقة إلى كتفها . أخرجت مرآة مربعة صغيرة ، بأضلاع لا تزيد عن ثلاثة سنتيمترات . نظرت إلى ساعة يدها : «حان وقتُ الرؤيا» . أخرجت أنبوبَ صمغ قويٍّ . فكَّتْ غطاءَه القُمْعَ بأسنانها . طلتْ بالصمغ ظهرَ المرآة . استدارَت على مقعدها ، وألصقت المرآةَ بالحائط . أغلقت أنبوب الصمغ . عادتْ إلى دفترها وقلمها الرصاص . «الغضبُ كسِيرةٌ لكلِّ شيء . الغضبُ كامتلاكٍ لكلِّ سيرة . العلومُ المُمَاحكاتُ بينَ الطَّبيعة وعبثها . الإيمانُ كهدنةٍ . الإيمانُ كفدية ، حين تُؤخذُ الأبديةُ رهينةً بيديٍّ ذُعْرها من اللانهايةً . الإيمانُ كانحدارٍ على كثيب الرمل . الإيمانُ الطلقةُ ، التي لا تُخطىءُ قط ، إذْ تُطلقيْنَهاً من بندقية داخلَ فمك ، ياأمي ميريما» . ارتجفتْ يدُها قليلاً : «لماذا أمي ميريما؟» . استجمعتْ نزوةَ اللاتعيين في المخاطَبات : «الطريقُ المُخْلِصُ للمارَّةِ طريقٌ مذعور .

أنفاقٌ ـ هِباتٌ سخيَّة من المجهول على إخوته المترهِّلِيْن . أعطني ، يانفق شَارْهُوْلمِنْ ، قليلاً من الرمل المؤتَمنِ على أعماقك أُعِدْهُ إليك سلالم بلانهاياتٍ» .

أطبقتْ ليداليا الدفترَ على القلم الرصاص . وضعته على المقعد . نهضتْ . صحَّحتْ وضْعَ حقيبتها على كتفها . حملت قفص الهرتين . أسرعت في مشيها صوب الأدراج الآلية الصاعدة الهابطة شمالَ النفق . وضعت القفصَ على الأرض ، تحت مُلْصَقٍ لملابس أنثى داخلية ، أُعْطِيَتْ سُلطةَ أن تتولى نقلَ المحظور المُدنَّس ، مُقيَّداً ، إلى قضاء الإباحة الطاهرة : ملابسُ داخليةٌ هي حُكْمُ العفو عن كلِّ إثم .

ابتعدت ليداليا عن القفص خطواتٍ . استدارتْ إليه بعينين معتذرتين : «قبل ثلاثة أيام جاء بكما زوجي إلى بيتنا ، ياابنتيَّ . هَجَرني وهجركما إلى ابنة خالتي . ليس عليَّ أن أمرِّغكما في جرحي ـ جرحِ أمٍّ توزِّع أبناءَها على الهاربين» ، قالت في صمت . استدركَتْ : «ربما ينبغي أن أترك القفصَ قربَ الأدراج جنوباً» . عادتْ فحملتِ القفَص إلى جنوب النفق . تركتْه هناك ، ملقيةً نظرةً ، من بعد ، إلى المقعد ، الذي كانت تجلس عليه . لم تَرَ دفترَها . ابتسمتْ . فتحت حقيبتَها وواجهتِ الجدارَ . ألصقتْ عليه ، في كل خطوةٍ ، مرآةً بقُدْرةِ الصمغ القويِّ ، حتى نهايته ، غير آبهةٍ بالقادمين إلى النفق والخارجين منه : «سيرى النبيُّ القادمُ إلى عَشاءٍ أبي يالُوه نَفسَه ، كما ينبغي لنبيٍّ أنْ يراها ، إنْ مرَّ من هنا» .

طحينٌ بنكهة الشُّونيز

شقَّ المِشْقَصُ ، العريضُ الشفرة ، الجِلْدَ طويلاً فوق سنَام الجَمل . ارتعشَ الشحمُ النقيُّ إذ انحسرَ عنه بأناة . عدَّةُ أيد تولَّت سَلْخَ الجلد عن الهَرَم الصَغير جَذْباً به إلى أسفلَ ، قبل أن تقتطع يدٌ واحدةٌ ، بالمِشقص الرهيف ، قُرصاً عريضاً من الشحم الملتمع كجمرةٍ بيضاء .

رغا الجملُ المقيَّدُ بحبلٍ من ركبتيه الأماميتين المطويَّتين . أرغى . لوى عنقَه الطويل مهتاجاً ، ضارباً برأسه على خاصرته في لوعة . ألقى نظرةً مسنونةً على الأيدي ، التي شرَّحتِ الشحمَ رقائقَ ، ورَصفَتْها ــ من ثم ــ فوق صفائح من الحجر المُحمىً في كومةِ جمْرٍ .

«أعْطِني خيطاً من حاشية عباءتك ياباكالبا» ، قالَ بيغون ، فانتزعَ باكالبا شريطاً رفيعاً من عَصَب ظهر الثور ، بسكين لا مقبض له ، من حاشية عباءته . مرَّر الشريطَ في سُمِّ إبرته المنحوتة من ناب الخنزير البريِّ . «خُذْ» ، قال فتناولها بيغون . رتَقَ الجلدَ بالشريط ، فوق السنام . هدأَ وَقْدُ المهانة في عينيِّ الجَمل قليلاً .

ثمانية عشر يوماً دار الستةُ الأنفار ، بجمالهم الستة ، على أنفسهم ، في المضائق الحجرية شرق صحراء لوكهين . استنفدوا طعامَهم ، الذي حملوه في الأَجْربة الجلدِ من إقليم كاروكشين .

استنفدوا الباميا المجفَّفة ، وشحمَ سنام الجمل المجفَّف ، وجبنة الجاموس المجفَّفة ، وطحينَ القمح الممزوج بشحم أمعاء الماعز المذوَّبِ مُنكَّهاً بالشُّونيز . ظلُّوا أحياءً بهبةٍ من بئرٍ نصف مدفونة ، نبشوا عن مائها سافيةَ الرمل ، فملأوا رُبْع قِرابهم لاً أكثر ، فيما لمْ تَحْظَ جِمالُهم إلاً بجُرعات .

أكلواً الشحمَ المشويَّ إلى جوار صخرة عَلا سطحها كثيبٌ صغير . شبعوا فتراخوا . لم يكلِّم أحدٌ الآخرَ : كفٌّ أربعةٌ منهم عن شَحْذِ اللوم ، بمبارِدِ الخوف ، وتسديده إلى الدليليْنِ . كفٌّ الدليلان عن معاتبة النور على خدائِعه في العراءِ المُورِّق . كفَّتِ الجِمالُ عن تذكير أنفُسِها أنها جِمالٌ .

ناموا ليلَهم إلى جوار الحجر ذي الخِمارِ الرملِ . في الفجر أرسلوا خطواتِهم وقلوبَهم ، متوازيةً ، إلى الأبعد الشاسع المُورِّق . أجلَسُوا الريحَ على برادع جِمالهم وسَقُوها أملاً حامضاً . أقلقوا صخوراً أقلقَتْهم بهذيانها الصامت ، منتشيةً بنبيذ الرملِ الأبيضِ الرماديِّ . انحدروا إلى مضيقٍ بين كثيبيْنِ جاثميْنِ على أُسُسِ صخورٍ تُرى أقدامُها . أشرفوا ، بعدَ حينٍ ، على فِناءٍ يحوطُهُ نخلٌ ميِّت : هيَ واحةٌ ـ ربَّما ـ لم تأتمِن نفْسَها علىً السرِّ فاستنزفَها السرُّ الحاجبُ .

نوَّخوا جِمالَهم في الظلِّ الميت للنخل الميت . جمعوا السَّعفَ الصريعَ شقيَّاً في حريَّته الأخيرة ، الحرَّ في آخريَّةِ شقائه . أسندوا الأعذاقَ بعضَها إلى بعضٍ على حواف الكثيب المحيط بالفِناءِ فجعلوها ظُلَّةً . تحاموا من الريح القَلقةِ بالظُّلَّة وقتاً ، قبل أنَ يتناهى إلى أسماعهم أنينٌ أبْهَمَ عليهم وضوحَ الفِناء .

قام بيغون مستقصياً فتتبَّعه تالماجور مروِّعاً الرملَ بساقه العرجاء ،

ساحباً خلفَه أثراً نازفاً . صعدا حواف الكثيب المحيط بالفناء ، شمالاً ، فأشرفا على ملاعبَ أنجزتْها الريحُ رسوماً من جدرانٍ مندثرة ، متقابلة ، تتوسطها بقيةُ هيكلِ طينٍ نصفِ مدفون في الرملٍ ، متهشِّم السقفً في معظمه . دخلَ تلْماجور وبيغون الهيكلَ الرثَّ ، الشبيهَ ببقايا مَدْفن ، متمهِّليْنِ . دَهَمَتْهما رائحةُ لحم متخلِّل في بداية عفنه : جَمَلٌ مذبوح ، مُنْتَزَعٌ شحمُ سناميْهِ ، يريقُ عليه الذبابُ الأزرقُ ـ ذبابُ مضائق النهاية ـ خُيلاءَ أشْعاره . وفي ركن مظلَّلٍ ثمَّتَ رجلٌ متمدِّدٌ ، حبيسُ أنينٍ منهوكٍ يتقرَّى به صورَ البقاءِ المنهوب .

اقترب تالماجور وبيغون من الرجل الطَّريح . صرخا بصوت واحد : «فلْيَأْتُنا أحدٌ بماء» ، فحضر الرهْطُ بتمامه مندفعيْنَ بهبوبٍ قويٍّ من خَفْقِ عباءاتهم . قطَّروا فوق شفتيٌ الرجل الطريح المتشقِّقتين رذاذاً من الماء بأطرافِ أناملهم فارتعشتا حُرْقةً إلى البَلل . انفرجتا . فتح عينيه : «هاعُدْتُم» ، قال بلسانٍ مَحَطَّم .

«هذه حروف من لغة أهل كِينَادو» ، قال بالبور .

ابتسم الرجلُ الطريحُ برهةً ، ثم استردَّ ابتسامتَه خائبةً ، إذْ عاد إليه بصرُهُ المفرط في ثقله بصورٍ وجوهٍ ليستْ هي مَنْ عناها بمخاطبته الأنيسة . أبقى عينيه معلَّقةً إلى الصور .

تملَّك الستةَ الأنفارَ ذهولٌ ودَهَشٌ ، وفضولٌ صاعقٌ ، بمقاديرَ لا غلبةَ لنَفَسٍ فيها على آخر ، وهم يتأملون رجلاً في عقده الرابع ، يرتدي ثياباً كثيابِ أهل البُعْد الأوسط في الصحراء الحجرية ، أزرق العينين ، أشقر الشعر ، ببشرة لم يُحسن الجفاف الكالح أن يمحو بياضها بطبقة من حراشفه ـ حراشفِ الدِّهان الرمليِّ .

«من أين أنتَ؟» ، ساءله بالبور بحروف من لغة كينادو ، فتمتم

الرجلُ الطريحُ في إعياءٍ : «البرد» .

«البرد؟» ، ساءله بالّبور ، فرد الرجل الطريح :

ـ البرد . . . مابَعْدَ ذلك . منابتُ البرد .

فَطَن بالبور إلى لُكْنَةِ الرجل الغريبة في لَفْظِ كلماتٍ من لغة أهل كينادو . همسَ مقترباً برأسه منه : «أمعك أحد؟» .

أغمض الرجل الطريحُ عينيه . أغمضَ بصرَ رئتيه . هزَّه بالبور هزّاً خفيفاً . لمس بأصابعه الخشنة الشَّعْرَ المُخْتَطفَ من براثن الذهب : «مَنْ أنتَ؟» ، قال .

تراجع الستةُ الأنفارُ بجذوعهم المنحنية عن الرجل الميت . جالوا بأبصارهم على الهيكلِ الطينِ المتقوِّض . قام جانكوه إلى متاع مكوَّم قرب جثة الجَمل ، أُهيْلَ عليه رملٌ وسَعَفٌ من غير أن يُحْجَبَ . أزاح الركامَ عن خُرْج وأربع رقاع ، وستةِ أجربةٍ فارغة . جثا الآخرون ، على ركابهم ، حول المتاع . حلّوا الأربطةَ عن الرقاع الّلفائف مُستعرضيْنَ كمائنَ دواخلها . «هذا شيء من «ثقة الملتبس» ، ياأبناء كاروكشين» ، هتف بيغون منهوباً بالمصادفة النقيَّة كدينٍ لم يعثر عليه أتباعٌ بَعْدُ . «أين الرقاعُ الأخرى؟» ، قال بصوتٍ جافٍّ ، فيه حسرةٌ ونَهَمٌ . حفرَ الركامَ ، أكثر ، بيديه ، وبأنفاسٍ من أيدي لهفته . قلَّبَ تالماجور الخُرْجَ فأفرغ جيوبَ الخُرج من أساورَ خرزٍ ، وتماثيل صغيرة لخيول من حجرٍ أصفر ، قبل أن يسقط صندوقٌ رقيقُ الحجم على الرملِ والحصى فينفكُّ غطاؤه ، فتتناثر من جوفه رموزٌ مجسَّماتٌ صلبةٌ تؤوِّل بها الحروبُ النظيفةُ مجابهاتِ العقل . «هذا شطرنج» ، هتف باكالبا ، واحتضن الصندوقَ ، معيداً إلى جوفه رُسُلَ الدَّهاءِ الصامتيْنَ ـ الأجسادَ الدُّمى المُنجَّرةَ من خشبِ قَسْطَلِ الخيل .

«أكان هذا الغريبُ يُهيِّىءُ لظهورِ نبيٍّ في قومه؟!!!» ، تمتم بالبور بحروفٍ تصادمتْ كالحصى . تبادل الستةُ الأنفارُ وجومَ الحقائقِ بنظراتٍ واجمةٍ . نهضوا واقفيْن . حملوا متاعَ الرجلِ الميت إلى الفناءِ تحت ظُلَّةِ الأعذَاق الميتة . تهالكوا مستندين بظهورهم إلى أقدامِ الصخر في حوافِّ الكثيب .

كانوا ، في برهتهم تلك ، أشدَّ إعياءً من يقينهم التائه في تأويل المكان التائه .

«سأعود بالشطرنج إلى كاروكشين» ، قال باكالبا .

«وأنا سأعود بالرقاع إلى كاروكشين» ، قال بالبور ، وهو يضمُّ الرقاعَ الجِلدَ الأربعَ إلى فخذيه في حِرْصٍ .

نخزه بيغون بسبابته : «إنها ناقصة ، يابالبور» .

«فَلْنَستنْسخ هذه الرقاعَ الأربعَ على رقاعِنا الأربع عشرة ، يابيغون ، ولنعُدْ .» ، ردَّ بالبور بصوتِ البديهة العجولة .

«لا» ، قال بيغون . «أنا لن أعود» .

هزَّ الأربعةُ الأنفارُ الآخرون رؤوسهم متأسِّفين ، موبِّخيْنَ ، في تعبٍ : «لن نعود» .

تمتم تاهشين : «كيف ستهتديان إلى مسالكِ العودة؟ . قد تكون المسافةُ بيننا وبين مودابورك أقصرَ منها إلى كاروكشين» .

«أعرفتَ مسالكَ الذهاب ، أيها الدليلُ تاهشين ، إلى إقليم مودابورك؟» ، ساءله باكالبا . قادَ جَمَلَهُ خارجاً من الفِناء فتَبِعهُ بالبور .

T central

شهواتٌ رنينٌ استقرّتْ، بتمام نقوشها، على سطح حقيبة الكَمَان المُغْلقة، واضحةً في صور النقوشِ المعدنِ. أوقفَ العازف الشيخُ أوتارَ آلته عن نَهبِ الصوتِ مجرَّداً، كضوءٍ، من خزائن الهواء: «خُذْ نقودَك، أيها السيد»، قال.

توقف الرجلُ، الذي رمى بالقِطَع المعدنية الستِّ إلى ظاهر الحقيبة، المُمدَّة لِصق قدميّ العازف الشيخ، الواقف. «أليست كافيةً ثمناً للإصغاء، نصف ثانية، إلى عزفك؟ عزفُك ثمينٌ في الأرجح»، قال منحنياً يلتقط القطعَ المعدن، ذاتَ التاريخ المعتدل في اختيار النفائس. فردَّ العازف: «ألم تَرَ الحقيبة مغلقةً؟ مَنْ يُبْقون حقائبَ آلاتهم مغلقةً لا يتكسَّبون بعزفهم كعادة المتكسِّبين في الأنفاق، أيها السيد».

«المعذرة»، قال الرجلُ ممتعِضاً. «لم أرَ غيرك، في الألف السنة الأولى من عمر هذا السرداب، عازفاً لا يقبل هِبةً. كل حقيبة، أو قبَّعة، قرب قدميْ عازفٍ، هي لاستقبال هِبة. أما الآن فقد أضفْتَ إلى علومي في أمور عازفي الأنفاق مايُوجب الحَذَر». خلَطَ قطع المعدن في قبضته فرنَّت رنيناً ناعساً: «وجودُك فخٌّ، أيها الشيخ»، قال مبتعداً.

«وجودُ مَنْ فخٌّ ، أيها السيد؟» نادتْهُ هِيْدجيرا . أردفتْ في غضب : «أنت تخاطبُ أبي يالوه» قالت . لم يلتفت إليها الرجلُ العابر . شدَّتها أختُها سالوميا من كمِّ معطفها : «اهدأيْ مرَّةً» .

«أليس علينا أن نغادر الآن؟» ساءلتْ ليداليا والدَها يالُوه ، وهي تنظر إلى ساعة يدها . فاستعرضَ الشيخُ عائلتَه من حوله : آبيريمْ . نواهينْ . ميريما . سَارْها . يوشْ . هيدجيرا . سالوميا . إشمانو . ليداليا .

«أين آكيلون ، وبارسيسْ؟» ، سألَ .

«لا تقلق . سيأتيان» ، ردَّتْ سَارها .

«نصف ساعة أخرى من العَزْف ستُريحُني . أعطوني نصفَ ساعة أخرى ، وسنغادر» قال يالُه الشيخ . رفع كمانَه إلى أُفُقِ كتفه اليسرى . حرك ذراعه اليمنى يحرِّرُها من نجوى ماضيةٍ بينها وبين النهايات . أنزل القوسَ في حنان إلى أمومة الخشبة المجوَّفة ، الصقيلة ، ذات العنق الطويل . تحاكَّتِ الأوتارُ . قشَّرَ الصوتُ الصوتَ ، كعرناس الذُّرة ، عن ثمانٍ وثلاثين بزرة تطايرتْ من حول يالوه ، الواقف لصق عمود مغلَّف بالفسيفساء ، في السرداب الواسع ، الطويل لمركز أنفاقِ القطارات : نمرٌ دائريٌّ كالخاتم يلتفُّ على العمود ، أشبه بثعبانٍ أزرقَ ، محاطٍ من أعلى ومن أسفل بلهبٍ لولبيٍّ ذي شِعبٍ ، في كل شِعبةٍ ، أو لسان من النار ، ترْسٌ من إرثِ قبائل الشمال : موعظةٌ فسيفساءُ في المُطابَقات بين القوة كمديح وبين اللون كثقة .

خلف العمود ، الذي اتَّخذه يالُوه علامةً لتحديد الثِّقل الخاصِّ بالصوت ، واجهةُ كهفِ الصِّرافة ، المُحصَّن بزجاج مُؤيَّد بقَسَم الغيب أنه الزجاجُ الأبُ ، الذي يختلسُ من صورةَ كلِّ عابرٍ ومضةً من إرثها الشفيف . في اللوح الزجاجِ جحورٌ تتبادل الأيدي ، عبرها ،

المُكاشفاتِ الأزليةَ ، المحصورة في تحويل المال إلى إيمانٍ بالأمكنة ، والأقاليم ، والدول ، والعناصر التسعة للطبائع المنفصلةِ عن أمّهاتها ، فتتطابقُ بحكمة الميثاق في ورقٍ نقْدٍ ، أو معدنٍ مصكوكٍ نقْدٍ ناطقٍ بلسان التراب والماء الإلهيَّيْن .

في مواجهة العمود ، الذي اتَّخذه يالُوه مدرِّباً للأعمدة الأخرى على فوضى الفراغِ الهندسيِّ ، مَطْعمٌ طِلَّسْمٌ في إنشاء الروائح مقيَّدةً بالشكِّ ، متقلِّبةَ المزاجِ ، عصبيَّةً ، دائخةً من نوباتِ الصَّرْع : ثلاث فتياتٍ ، في مآزر سُودٍ ، يتولَّيْنَ استدراج الخبزِ إلى البوح بأحوال السِّمسم ، واستدراج أقراص اللّحمِ المفروم إلى تعريف الغَدْر مُستساغاً تحت اللسان ، ثم يحملْنَ قبابَ الخبز المنطبقة على أقراص اللحم إلى أَكَلَة جلوسٍ على كراسيٍّ طويلة السيقان ، يتذوَّقون الأبعادَ مغموسةً في صَلْصة البَنْدورة العذراء ، ويشمُّون المجرَّاتِ مثلَّجةً في أقداح ورقية ، عليها بخارٌ من أنفاس الخبراء اللامرئيين ، المحترفيْنَ في ابتكار اللَّوثة للذوقِ ـ بريدِ الجهاتِ المجفَّفةِ ، معلَّقةً ـ كسمك الرَّنكة ـ على حَبْل الإنسان .

على جِهتيِّ العمود ، الذي اتَّخذه يالُوه عَقْلاً مبشِّراً بقيامة الأعمدة ، جموعُ حروفٌ تتدبَّر المصادفةُ تلفيقَها كلماتٍ هاربةً من سِيَرِ اللغاتِ العجولة ، وجُمَلاً من مَخَارج الظاهر في الهندَسة العجولة للباطن . جموعٌ رُقَىً ؛ رطاناتُ تواريخَ لا تتكلَّم إلاَّ هَمْساً . ذاهبونَ إلى حروبٍ . قادمون من حروب . كَهَنَةُ أسرارٍ صغيرة . قوَّادٌ ليسوا في حاجة إلى أمكنة ، أو خرائط ، أو هواء . جموعٌ يجرُّون خلفَهم أشباحَ إوزٍّ في سلاسل ، وأشباحَ كلاب كالفِيلة ، عابريْن جداولَ ماء طافيةً في الهواء لايبتلُّ أحدٌ إذا اجتازها . دائخون ينامون متمايليْنَ وقوفاً . شاحبون لم يَنَمُوا لَيْلَهم . أصواتٌ شَحْمٌ . أصواتٌ رمادٌ . أصواتٌ ماءٌ .

أصواتٌ زيتٌ . أصواتٌ حقائبُ . أصواتٌ مساحيقُ تبرُّج . أصواتٌ صفقاتٌ خاسرة . أصواتٌ خطواتُ قطط . أصواتٌ بقايًا خَردل . أصواتٌ عُمْلَةٌ نحاسٌ . أصواتٌ كَبَشَرة ، وأخرى كقماشٍ ؛ كرائحةِ التبغ والفجل . أصواتٌ عَرَقٌ . أصواتٌ إدمانٌ على حروف أُعيدَ ترميمُ كسُورها بصمغ الأَسْطَرَاغالُوْس ، قَرْناً بعد قرن . أصواتٌ عقْدٌ . أصواتٌ قطرةٌ ؛ سَيلٌ ؛ قطيعةٌ ؛ جوعٌ . أصواتٌ قَرْضٌ ؛ منَحةٌ . أصواتٌ رِبَاً ؛ حساءٌ ؛ وداعٌ ؛ نُعاسٌ ؛ مغيبٌ ؛ سَرِقةٌ . أصواتٌ أدراجٌ . أصواتٌ أرَقٌ . أصواتٌ تماثيلُ . أصواتٌ إشاراتُ مرور . أصواتٌ تمارينُ . أصواتٌ نسيانٌ . أصواتٌ حَمَّالاتُ أثداء . أصواتٌ علْكةٌ . أصواتٌ أرقامٌ . أصواتٌ طلقاتٌ ؛ كَرَمٌ ؛ عِنادٌ . أصواتٌ كأيَّةِ أصواتٍ أخرى كلَّم بها الخاسرون آلهةً خاسرةً .

تمايل يالُوه ، الشيخُ النحيف ، ذو المعطف المطوَّق بحزام على استدارته . مالَ مع الصوت في هبوبه على أشرعَةِ خياله المائيِّ ، مُتيحاً للوجودِ المُهَرَّبِ صفقاتٍ أكثر احتراساً في تجويف كَمَانهِ . فتحَ النَّغمَ كالأبواب الآلية ، القريبة ، التي ينفخ عليها الملاكُ الموكولُ بمداعبة الزجاج ، كلَّما اقترب منها جسمٌ . غَزَلَ النغمَ خيطاً حريراً في المتاهة المُحاطة بسبعةٍ وسبعين باباً هي مداخلُ الوقتِ إليها ، ومخارجهُ منها . نَحَتَ ، باحتكاكِ الأوتار ، مُجَسَّماتٍ صغيرةً للسماء مرتديةً حذاءَ الأرضِ في الممرَّات المتفرِّعة عن السرداب الكبير . جَمَعَ الأنفاقَ ، كلَّها ، زَحْفاً ، في خندق الوتر الثالث . ارتعش شَعَرُهُ الأبيض ، الأشعث ، الخفيف .

تكسَّر سهمٌ على العمود ، فوق رأس يالوه تماماً . تناثرتْ شظايا من الفسيفساء على كمانه . عَلَتِ الهمهماتُ ، والغمغماتُ استياءً . خَرَقَ الهَرْجُ سطورَ الجموع ؛ فتَّقَها . ظهر آكيلون راكضاً . وقف إلى جوار أخيه

يوش . وضعت أمُّه سارها راحةَ يدها على كتف معطفه : «متى سيتوقَّف عبثكما ، يابنيَّ؟» .

«أتعتقدين أن مايفعله بارسيس هو عبثٌ ، ياأمي؟» ، ردَّ آكيلون لاهثاً . أردف : «ها قد جاءَ . .» . التفَّ حول حلقة العائلة ، ومضى هارباً .

مرَّ سهمٌ من فوق الرؤوس أثار زئيراً في الفسيفساء .

انطفأت الأضواءُ في السرداب الكبير .

ارتبكتِ الجموعُ . شُلَّتْ . تعالى صراخٌ متفرِّق ، وتطايرتِ الشتائمُ .

عاد الضوءُ ، بعد برهةٍ لا أكثر . انجلى الضبابُ الأسودُ عن نَهْبٍ قليل هنا وهناك .

«لماذا لا توقف عزفك الرديء هذا ، يا أبي؟» قال بارسيس ، وهو يدور بسهمه المُهَيَّأ في الوتر المشدود بحثاً عن أخيه .

«لا تكلِّم أباكَ بلسانٍ مُنْهَكٍ» ، قالت أمُّه ميريما ، ذات المعطف الشبيه بمعاطف الرجال .

انطفأ الضوءُ ثانيةً في السرداب الكبير .

أطلق بارسيس سهمَه : «خُذْ عقلَ الظلام مُجتمعاً في نَصْلٍ واحد ، يا أخي آكيلون» .

تناهى في الممرات كلِّها عواءُ ذئب .

عاد الضوءُ .

سَحَقَ يالوه وتراً على وترٍ ، مُستنطِقاً اللَّهبَ المتوفِّزَ في عَزْفه ، فأصغى إليه أرخبيلُ ستوكهولم ـ أرخبيلُ الأثر الثالثِ من آثار الإنسان في عبوره إلى الحصْنِ المفقود .

تمهيدٌ كاملٌ لشيءٍ مّا في كاروكْشيْنْ

قلّبَ تيـغُـوْتكيْنْ شـاهْ ، ذو العـمـر المكتَـسَح بخنادق السنين ، صندوقَ الشطرنج المحترقَ بين يديه ، فتـذَرْذَرَ على فراء عباءته فُتَاتُ الخشب المتـفـحِّم : «هذه رِمَمُ العـقل في كـاروكـشين» ، قـال . حـرَّك الجمرَ ، في كانون النحاس الدائريِّ ، بسنان رمحٍ قصيرٍ ، فتألَّق الشَّررُ الرسولُ .

كـان الرجل ـ المهتـرىء اللحية من قدَمـهـا ، محاطاً من جهات ثلاث بجلود الفَنَك ، والسَّمُّور ، ذلك المساءَ الصقيعَ ، المتفلِّعَ من عزيف الريح حول البلاط . أصغى كـما الجالسين في البهو المضاء بقناديل الشـحـم ، إلى صـريفِ خـشب المنجنيـقـيْنِ ، وأنين خـشـب العَـرَّادة الوحيدة ، في الخارج ، حيث الحَرَسيُّون ـ سهارى على ظهور الجياد ، أو نائمين على ظهور الجياد ـ يستكملون حشودَ النجوم الجليدِ في سماء كاروكشين ، ويعِدُون الأرضَ بأرواحٍ أكثر دهاءً من أنْ يستميلها الموتُ إلى حروب الأرواح .

وضع تيـغـوتكين شـاه رُمَّـةَ صندوق الشطرنج جـانبـاً بيـديه الضخـمتين ، المتيبِّستين : «عادلٌ أنا يامُرشدَ المُكنات» ، قـال . جال ببصره ، من شقَّيْ عينيه المفرطتين في انغلاقهما ، على الجالسيْنَ على

جلود أنصافَ حلقات ، في بهو بِلاطه ـ الأرض المرصوفة صخراً أملسَ ، دائرياً ، باستنساخ لثباتِ الكُلّيّ متعاقباً على ذاته بلا نهاية . يحيط بالصخر الأملس للبهو جدارٌ لُبُودٌ سُمْكهُ ذراع ، يعلوه سقفٌ من طباق جلود ستِّ طبقات . للبلاط مدخلٌ إلى البهو من جهة الآبار في السُّهُب ، وأربعة أبواب من خشب الميموزا ـ الشجرةِ المُسْتحيَةِ ، وسط الجدار اللُّبود ، في نهايته : باب إلى مقاصير الحريم ؛ وبابٌ إلى خزائن السلاح ؛ وبابٌ إلى أوعية المُؤْنة ؛ وباب إلى خزانة رواتب الجند ونفقات البلاط بمقادير من مسكوكات الفضة والذهب ، وأحجار الجَزْعِ العقيقيِّ ، والجَمشْت ، واليَشْب ، والآنيةِ المعدن .

وَجَأَ الشيخُ المتآكلُ الجَمْرَ بسنان الرمح : «ماذا ينقصنا في كاروكشين؟» ، قال باللسان الجامع لما لا يدوم .

غمغم جلساء الليل في قبعَاتهم الجلدِ واللُّبود ، قبالة تيغوتكين شاه . نَكَتُوا الجمرَ في مجامرهم النحاس بقضبانٍ قصيرة من غصون العضَاه : «لا ينقصنا شيء . سماءٌ موفورة . أرضٌ موفورة . خيول وجِمالٌ موفورة . أجبانٌ ، ومنجنيقان ، وعرّادة لا تملك مثلها أممٌ كثيرة في البُعْد الأوسط لصحراء الحجر . لنا قلوبُ ثيران ، وصَبْرُ الريح ، وبراعاتُ الربيع القصير . لا يلزمنا شيء» .

«ينقصنا نبيٌّ» ، قال الهَرِمُ تيغوتكين شاه . «تدبَّرت الأقاليمُ وراء جدار زَانْهِينغ الهائل ، وهضبات الشمال الناقص ، أنبياءَ لأُممهم ، إلاَّ كاروكشين . سيكون لكاروكشين نبيٌّ» .

«فليكُنْ لكاروكشين نبيٌّ» ، غمغم جلساءُ الليل أنصافَ حلقاتٍ في البهو الواسع .

«سيكون ابني لِنْكْ شاه نبيَّ كاروكشين» ، قال الرجلُ الهَرِمُ ،

فردَّد جلساءُ الليل :

ـ ليَكُنْ .

حكَّ تيغوتكين شاه الجمرَ بسنان الرمح القصير فتدغدغَ الجمرُ . بسطَ رؤيا السهوب المتتابعة على أعماقه ـ أعماقِ أُمَم مكاييل الريح : «تالماجور . تاهشين ، يادليليَّ إلى السِّنْفِ الحافظِ لكلِّ ظلٍّ في إقليم مودابورك ، الإمارة المسوَّرة بحجر البازلتِ الأسودِ ـ حِرابِ الحقائق ؛ وأنتَ ، ياباكالبا ، ياشقيقَ الرقعة الثالثة في المتوازيات ، كليمَ ، الهاوية الثالثة في نُقْلَة البيدق ؛ أيُّها ، الأنْتُما ، بالبور وبيغون ، المتأنِّقان في أبوَّة الحرفِ القيَّاف» . صمت برهةً يتأمل الرجلَ الأمهق : «جانكوه ، يا الأصلَ اللونَ ، وإرثَه» ، قال مشيراً بإصبعه إلى مَنْ ذكر أسماءَهم : «لكم حظوةٌ أن يتتبَّعكم الربيعُ القصيرُ ككلب في سهوب كاروكشين . أنتم دليلُ ربيع كاروكشين إلى سفوح كاكونت . خذوا معكم شذورَ ذهبٍ ، ومسكاً ، وكافوراً ، وعنبراً ، تقايضون به علومَ الكمالِ الأول في دساكرِ مودابورك . سبع رِقاعِ جلْد لبابور ؛ سبعٌ لبيغون ، يدوِّنان عليها بيَراعاتٍ من شوك النِّيْص ، وبحبرٍ من الزَّاج والنِّيْلَج كتابَ «التمويه على الأقدار المعلومة» . سبعُ رقاعِ لجَانكوه يعيد نَسْخَ «ثقة الملتبس» ـ كتاب تبويب اللانهائيِّ رسوماً . خُذ ماتشاء ، ياجانكوه ، من الزِنْجفر ـ مشيئةِ الخالد ؛ خُذ العُصفرَ ـ ثقةَ النباتِ بحروفه ؛ خُذْ أُرجوانَ الصَّدفِ من بحر زِينْغَمُو الضيِّق . باكالبا سيتخيَّر لنا الشطرنجَ الأكثر صقالةً في خَشَبهِ يرى فيه المُحْكَم صورتَه كما في مرآة . حروفٌ ، ورسوم ، وشطرنجٌ يُعيد بها ابني لِنْكْ شاهْ تدبيرَ نشأته الثانية ـ نشأةِ المُحيِّر» ، قال . حدَّق ببصرِ الأكيدِ المُحرِّضِ إلى الدليلين تالماجور ، وتاهشين ، فأومأ برأسيهما إِجلالاً .

X vägen

ثماني شجرات أرضعْنَ الليلَ الوليدَ حليباً من أثداء ظلالهنَّ .
ثماني شجرات ، من العَفْصِ الأزرق ، تساقطتْ قَطراتٌ من حليب ظلالهنَّ على الممرِّ الحجريِّ بين بوَّابة السياج وباب الدار ، المحاطة بفراغ عُشبٍ من جهاتٍ ثلاث ، مثلها مثل الدُّور الأُخرى ، المستقلةً بذواتها ، في صفوفٍ متقابلةٍ ككلماتِ صلاةٍ هيَ هيَ منذ بزوغ العقل الكليِّ ، المذعور ، على حقائقه المذعورة .
أصواتٌ من داخل الدار تتالتْ خافتةً كبلور يتكسَّر تحت مخدَّة . لم تأبه شجراتُ العفص الزرقاء بسقوط شظايا من تلك الأصوات على ظلالها . لم تأبه للحروف التي تناثرتْ مُبلَّلةً بعافية الشهوات المُنْتَخَبة . لم تأبه للمصابيح القوية ، في داخل الدار ، يتهتَّكُ ضياؤها فوق الخِوان الطويل ، وسطَ البهو . سِماطٌ منتعشٌ بالسرد القويِّ لمهارات الطبخ : آنيةٌ آثارٌ من علوم الذوق في مجاهل الأفاويه . ممرَّاتٌ في الأفاويه سلكها أدلاَّءُ النكهات بآثارٍ مُعَربدة . صورُ روائح . أطباقٌ من أُمِّ البقول الناضجة بهداية الماء المغلي ، أو البخَّار المقدَّس . أطباقٌ من براعة الزيت ، وحِيَل اللحم ، وهرطقة الجوز واللوز ، محاطةً بطاعة المثاقيل المتجانسةِ من أخلاط العناصر . أطباقٌ مشمولةٌ بعفو الملح عن كل شيء .

على أطراف السِّماط تناهشتِ الثرثراتُ . رفع يالُوه غليونَه الأسود إلى فمه واقفاً يستعرض الصحونَ ، والأطعمة ، والكؤوس ، والأباريق : «القلوبُ سُحُبٌ مطرُها العقلُ» ، قال . دار ببصره على جدران البهو ، المغطاة بأغلفةِ جلد مُنتزعة عن كتب بحروف شتى ، مثبَّتة بمسامير كبيرة . غمسَ سبَّابتَه في كأس النبيذِ المتكتِّمِ على دَيْنِ العنب . نثر رذاذاً على الجدران . وَسَمَها بالبلل المُطهِّر : «حروفُ الأصل المُسكِر» .

«ماذا نفعل بقلوب ليست سُحُباً ، ياأبي؟» ، ساءلته ليداليا ، الجالسة على الأرض ، وقد صفَّتْ أمامها تسعَ مرايا صغيرة كمربعات الشطرنج .

«نترك أمره لعقول سُحُبٍ تمطرُ قلوباً» ، ردَّ أبيرِيْم الأنيق ، متكئاً بكتفه إلى خزانة ذات رفوف ، عليها كتبٌ بلا أغلفة ، مهترئةٌ متآكلةٌ .

«أأسمعُ هطولَ مطرٍ في الخارج؟» ، تساءلتْ سَارْها الهادئةُ متوجِّسةً ، فردت ضرَّتها ميريما : ـ بل تسمعين نقر أصابع هيدجيرا على عُلب التبغ الفارغة . كم علبةً تدخِّن ابنتك في الساعة؟

ردَّت هيدجيرا من غرفة جانبية ، مفتوحة الباب : «سأدخِّنكِ يوماً في غليون زوجك ، زوج أمي يالوه» . دَمْدَمَتْ في غيظٍ خافت : «أبي يالوه» .

اهتزَّ السماطُ فجأةً باصطدام آكيلون به ، خارجاً من إحدى الغُرف ، رافعاً يديه ، متصنِّعاً استسلاماً ساخراً : «هذا المكان أضيق من أن ترميني فيه بسهم» .

«لم أجرِّب ، من قبل ، أن أُصيبك داخل البيت . سأجرِّب الأمرَ الآن . خُذْ سهمي» ، قال بارسيس وهو يشد الوترَ أقصى مايُشدُّ وترٌ في قوس .

«انتظرْ» ، قال آكيلون . مرَّر أصابع يديه في وفرة شَعْره الطويل : «سأخبرك ، ياأخي بشيء لم يخبرك به أحدٌ من قبل» .

أرخى بارسيس الوترَ : «ماهو؟» ، ساءل أخاه ، فردَّ آكيلون مستديراً إلى يالوه الشيخ :

ـ أخبرْهُ ياأبي .

«أُخبـره بماذا؟» تساءل يالوه من بين أسنانه الممسكة بعقْب الغليون .

صمت آكيلون متصنِّعاً أنه ينتظر من أبيه حديثاً . نقل الأب بصره بين وجهَيْ ابنيْه : «أخبرُهُ بماذا؟» .

أنزلَ بارسيس قوسَه . أرخى كتفيه : «ماذا يعني آكيلون؟ ألديك ماتخبرنيهِ ، ياأبي؟» ، قال في فضول واضح ، فردَّ يالوه مبعداً غليونَه عن فمه :

ـ آكيلون يستهزئ بك . ضع قوسَك جانباً . أرِحْ سهمَكَ من هياجه المتتالي . أصْلِحْ هيئتَكَ المُشعَّثة . اضبطْ إيقاعَ ثيابك على عَزْفِ جسدك . كُنْ نشيداً هذا المساء ، يا بنيَّ بارسيس .

«منذ متى أطارد آكيلون ولا أقتله؟» قال بارسيس . صحَّح وضْعَ نظَّارته على أصل أنفه : «منذ متى أطاردك ياآكيلون؟» . استدار إلى يالوه : «أحسُّ تأنيباً كلَّما نظرتُ إلى هذه القوس في يدي . لقد ورَّثتُ سهاميَ خيبةً لا تُطاق . سأقتل الليلةَ آكيلون يا أبي» .

نفخ الأبُ دخاناً مُمشَّطاً من فمه : «هيئْ نفْسَك لعَشاء مع نبيٍّ أيها المُغرِّد . القَتْلُ مدوَّنٌ جيداً في هذه الأغلفة المعلقة إلى جدران البيت . قَتْلٌ داخلَ هذا البيت لن يدوِّنَه أحدٌ . قَتْلٌ لا يُدوَّنُ قَتْلٌ ركيكٌ» .

تقدمت سارْها القصيرةُ الممتلئة من ابنها آكيلون . أبعدته قليلاً عن السِّماط ، الذي التصق ظهرُهُ به : «ماالذي يجعل الأخوَّةَ في هذا البيت حيرةً؟» ، تمتمتْ .

«البارحةُ خطأُ اليوم . الأُخوَّةُ ، في البارحة ، أخوَّةٌ من أخطاءِ اليوم . قيسِي الأمرَ على هذا النحو ، يأمي» ، قال نواهين ذو البياض الشاحب . أردفَ : «كلُّ بارحةٍ هي خطأٌ في تقدير اليوم . كلُّ يوم يأتي هو خطأٌ في تقدير البارحة . البارحةُ ، واليومُ ، خطآن في التقدير كالأخوَّة ذاتها . كلُّ أُخوَّةٍ خطأٌ في التقدير . نحن عائلة يا أمي . العائلةُ فخٌ» .

نهضت ليداليا ذات الشعر القصير ، مبقيةً بصرَها على المرايا التسع الصغيرة على الأرض : «مَنْ التقطَ الهرَّتين في نفق شارهولِمنْ؟ أكاد أسمعُ مُواءَهما» ، قالت بلسان الحزن العَالِم . هزَّت رأسَها أسفاً : «سأقتل أولادي إذا هجرني زوجٌ آخر مع ابنة خالة أخرى لي» .

«بِمَ تفكِّرين وأنتِ تتحدَّثين هكذا ياليداليا؟» ، ساءلتها سالوميا موبِّخة ، فردَّت ليداليا :

ـ أفكِّر بمرايا تليق بنبيٍّ أن يرى نفْسَه فيها .

أصغت العائلةُ ، بتمامها ، إلى صوتٍ صادر من باب الدار . اهتزَّ الباب قليلاً كأنَّما يدفعه أحد ليدخل . توقفَ الهزُّ برهةً . دارت العيونُ ، بعضها على بعض ، متجادلةً جدالَ السكونِ المُحْكم . اتَّسع استغرابُها إذْ سُمِعَ إدخالُ مفتاح في القفل ، وإخراجُه ، مرَّاتٍ متتالية ، سعياً من أحدٍ مَّا إلى فَتْحه ، دون جدوى .

«هل مُتّم؟» ، ساءل يالوه أهلَه ممتعضاً . تحرَّك إشمانو هامساً : «سأنظر ماهناك» ، فسَخِر يالوه : «مازال عندنا من له عينان ، في هذه

العائلة» .

سبع عشرة خطوة نثرها خلفه إشمانو ، ذو النمش الخفيف على أنفه ، في وصوله إلى الباب . فتحَهُ : سيدة طويلة ، بدت مستغربةً حتى أعماقها من رؤيتها الشابَّ ، الهادئ العينين . مالت برأسها جانبياً تستجلي صورَ الحاضرين في البهو ، من خلل الباب المفتوح .

«أأنت تتلصَّصين ، أيتها السيدة؟» ، ساءلها إشمانو .

تمالكت المرأةُ ، المشتملةُ بمعطف أسودَ ، ذهولَها . شدَّت حبلاً في يديها فاستقرَّ كلبٌ صغير إلى جوارها : «مَنْ أنتم؟ مَنْ غيَّر القفلَ؟» ، تساءلتْ منهوبةَ العينين .

«أيُّ قفل؟» ، ساءلها إشمانو .

«قفل بيتي» ، قالت . حدَّقت إليه تتوسَّل جواباً : «أليس هذا بيتي؟» ، فردَّ إشمانو مستظرِفاً أحوالَ المُحَادَثة :

ـ ماذا تعتقدين؟

«أعتقد أن هذا بيتي» ، قالت بلسانٍ بريءٍ من شبهات الكلام .

«وأنا أعتقد ، أيتها السيدة ، أنه ليس بيتكِ» ، قال الشاب .

حشر الكلب الصغير نفسه بين دفَّتي الباب يحاول الدخول ، فسدَّ إشمانو الفُسحةَ عليه بقدمه . تدحرج صوتُ هيدجيرا في البهو : «مَنْ في الباب ، إشمانو؟» .

«كلب» ، ردَّ إشمانو .

«هاتِ به ، سأعلِّمه التدخين» ، قالت هيدجيرا .

حاولت المرأةُ الطويلة استراق النظر ، من جديدٍ ، على البهو ، متمتمةً : «ألا ترى أن كلبي يعرف هذا البيت؟» .

«إن ظنَّ كلبُكَ أنه يعرف هذا البيت ، فهو ليس كلباً ، في

الأرجح» ، ردَّ إشمانو . اعتذر بعينيه مختزلاً المُحادثة المتقشِّرةَ كضحكة : «لدينا أشغالُنا . عِمْتِ مساءً» ، قالَ ، وهو يردُّ الباب كي يُغلقه ، فوضعت المرأةُ راحتَها على عارِضَتِه : «كلَّما حاولتُ الدخول إلى بيتي جاءني مَنْ يخبرني أنه ليس بيتي . كم من الوقت تدرَّبتم على جواب كهذا؟» ، قالت بصوتٍ فيه شروخٌ .

مدَّ إشمانو رأسه إلى الخارج : «أفهم لوعتَك ، أيتها السيدة» ، قال مبتسماً . «لاتسأليني : لماذا تنظرون إليَّ هكذا؟» .

«نعم . كنت سأسألك . لماذا . .؟» ، قالت ، فردَّ إشمانو :

ــ نحن مدرَّبون على هذه النظرة .

شدَّت المرأةُ رَسَنَ كلبها : «هل سمعتَ عويلاً في هذا الشارع؟ كلَّما طرقتُ باباً وغادرته سمعتُ عويلاً خلفي» ، قالت .

«سَمَعي ليس جيداً» ردَّ إشمانو . التمعتْ دعابةٌ في عينيه تأمَّلتْها المرأةُ بعينيها مبتسمةً في انكسار . قالت :

ــ أليس لديك ماتسألني؟

«أتريدين أن أسألك عن شيء مَّا؟» ، ردَّ إشمانو ، فساءلتْه ثانيةً :

ــ أأنت متأكد؟ لا بأس . أنتَ لطيفٌ . أغلِقْ بابَ بيتي .

«عِمي مساءً» ، قال إشمانو ، وهو يتبعُها بعينيه منصرفةً عبر الممر الملتمع بظلال شجرات العفص الزرقاء . لم يغلقِ البابَ . نَحَتَها بخيال فضوله حركةً ، وملامحَ ، وثياباً : شعرٌ أسود طويلٌ يحيط بتعبٍ ليس مُرْهِقاً في وجهٍ سَهَر جمالٌ مّا عليه طويلاً . غمازةٌ في الذقن . عينان تنسيان ما تريانه في البرهة التي تريان ما تنسيانه . معطف فوق ساقين مكشوفتين . حذاء واطىءُ النعلين . كلبٌ ــ بقيةُ محاورة بين شخص مستوحدٍ وذاته . أعوامٌ خمسون؟ ربما . وقفت المرأةُ ، كما رآها إشمانو ،

تحت عمود الإضاءة ، في الشارع . تلفتت يميناً وشمالاً مراراً كأنما تريد تعريفَ الشارع بنفْسه ، أو تقيسُ بطوله تيهَ روحها .

أغلق إشمانو الباب .

«من كان الزائر؟» ، ساءله نواهْين ، فرد إشمانو : «إمرأةٌ كمكان شاغرٍ ينتظر بناءَ بيتٍ فيه» . انتبَهَ إلى العيون تستوضحه أبعدَ قليلاً من توريةٍ لسانه العابث ، فاستطردَ مستفزاً : «بيتٌ مفقودٌ يبحث عن شارع» . اختطف بأنامله ، من وعاءٍ خزفيٍّ ، قَرْنَ لوبياء مسلوقاً . دسَّه في فمه . غمغمت ميرِيْما مستاءةً : «توقَّفْ عن القضم ، يادودةَ البَلاَذُر» .

تقدَّمت هيدجيرا من السِّماط بدورها . انتزعت ساقَ كَرَفس ، من صَحْفة ملأى بالخضار ، تحت بصر أُمِّها المهدِّدة . مدَّ بارسيس يده إلى كتف أخته : «ابتعدي قليلاً عزيزتي . سيصعد آكيلون سطحَ هذا الخِوان» ، قال . وأومأ إلى أخيه : «أرِني براعتَك في القفز» .

«أحذِّرُك . سأصعدُ السِّماطَ» ، قال آكيلون .

«اصعدْ» ، ردَّ بارسيس .

صعد آكيلون سطحَ الخِوان ، بعدما نزع حذاءه . عَلاَ صخبُ التوبيخ ، والاستنكار : «عَمَلْنا طويلاً على ترتيب المائدة . ياالله . احْذرْ الصحنَ . انزِلْ . ماهذا التهريج؟ دَعَكْتَ قماشَ السماط . جوربَاكَ مُهينان» .

أصواتٌ كيعاسيب البِرَك الراكدة أفرغتْ طنينَها حول آكيلون ، الذي فتح ذراعيه فوق الخِوان ، في ضراعةٍ للمغاليق : «السَّهمُ حيلةُ المسافة ، يا بارسيس» ، قال .

ابتعد بارسيس حتى أبعد أعماقِ الغرفة ، المواجهةِ ببابها للبهو .

جثا على ركبته اليسرى : «هذا وقتٌ يُؤكل نيئاً يا أمي ميريما» ، تمتم . هيَّأَ قوسَهُ ـ قوسَ المحترِف . فوَّقَ السَّهمَ . شدَّه فانشدَّ الوترُ مُسْتَثاراً . تفتَّق الهواءُ .

هوى آكيلون فوق السماط : شقَّ السهمُ رضْفةَ ساقه اليمنى ، فانسكب الألمُ ثقيلاً رصاصاً مصهوراً في تجاويف عظامه . فَلَّتْ متوازناتُ الثقل نسيجَها . تهاوى عضو من الجسد ساحباً خلفه أعضاء آكيلون كلَّها . تلاطمت الكؤوس الفارغة ، والزجاجات الملأى . تقاسمت الأوعيةُ قلقَ الطعام الكثير .

شجراتُ العَفْص الزرقاء تلقَّفتْ عويلَ سَارْها بأيدي ظلالها . قسَّمتْها مفاتيحَ على أقفال المساء المعلَّقة ، في الفسحات ، بين مصابيح الشارع . أصغت المرأةُ الطويلة ، الواقفة تحت عمودٍ حالم . «العويل» ، تمتمتْ . التصقَ كلبُها الصغير بساقها ، حين ارتفع عواءُ ذئب أيضاً ، من الغمْرِ الخفيِّ ، المترامي وراء باب الدار المغلق ، والسماءِ المغلقة الراكدة كماءٍ راكد .

اللانهائيُّ متأخِّراً عن موعده

بلَّل باكالبا، وبالبور، شفاههما بالماء، في حِرْص، وهما يتبادلان القِرْبةَ المُسْتَنْزَفةَ. حجبا وجهيهما من الريح مستطارةً من عبور تنين الغَمْر الخفيِّ، وراء حجاب العقل، في صحراء لوكهين. «أيتها الجهاتُ المُرْضِعةُ»، ناجَيَا محنةَ المشَّابه المُشْكِل.

تحدَّثا طويلاً، في بحثهما عن أثر يضعهما على الطريق إلى كاروكشين، عن الغيلانِ المحاربين القُرَّاءِ، بحسب سَرْدِ رخيم من باكالبا؛ وعن كتاب «التمويه على الأقدار المعلومة»، بحسبَ سَرْدٍ غير أكيد من بالبور. غيلانٌ في دروع حجر، وخوذات حجر، وأسلحة حجر، يتواجهون فيقرأون في ألواحٍ حجرٍ غَزَلاً من كَلَفِ الرمْل وولعه، قبل أن يتطاحنوا. كتابٌ تدريبٌ للأقدامِ على ارتقاء السلالم الرملِ، واختبارٌ للكلمات بإعادتها إعياءً، ووصفٌ للمعجزات بوصفها دَنَساً مُحْتَملاً. وقد خمَّن بالبور، العارفُ بمثاقيل الحَرْف، أن شريكهم في المهمة المتقوِّضة جانكوه الأمهق، مُنتدَبٌ لاستنساخ كتابٍ تمهيدٍ لتبويب اللانهائيِّ رسوماً يُرغمُ العقلَ على تأويل العاديِّ كخُدعة. والرسومُ التي فيه ليست أشكالاً. رسومٌ طَحْنٌ لصور ليست صوراً. خطوطٌ أبديةٌ، ونُفَاخاتٌ لونٌ كلُّها فخاخٌ يولِّد بها العقلُ حَذَرَهُ من الشكل.

استنفد الناكصان عن مهمَّتهما أسْنِمَةَ جمليهما الأربعةَ يأكلان منها الشَّحم نيئاً ، مُذْ عادا أدراجهما بصندوق الشطرنج ، وأربع رقاع من المدوَّنات . استنفدا الكلماتِ والإشارات . استنفدا سُنَنَ الظلال ؛ أدْيانَها ومذاهبَها استذكاراً بالأملِ المجتهد في نَحْتِ خيبته تيجاناً على أعمدة . هيَّأ لنفسيهما سماءً ممزَّقةً بمخالب السُّحب .

ضاقت دورةُ الروح البطيئةُ في الهياكل الحيَّة للجمَلَيْنِ والرجلين . عطَّلَ الجَملان خياليهما مستنجدَيْنِ بغيبوبةٍ لم تُنْجزْ رسمَ صورها بعدُ . عطَّلَ الرجلان ، بقيد اليأس ، بزوغَ أيِّ أليفٍ عليهما من شرق العقل أو غربه . لقد اكتمل لهما ، أخيراً ، فشلُ اللَّيل في إقناع النهار بمسالك النجوم ، وفشل النهار في إقناع الليل بمسالك النُّور في عماءِ الظاهر الكبير .

لكن العجاجَ النقَّاشَ ، الذي حفر ، وراء كثيبٍ من الرمل المُرْضع حجرَ لوكهين ، صَخَباً أرضيَّاً على اللوح الصلب للأعالي ، استردَّهما يقينيْنِ حالميْنِ . تبادلا من حنجرتيْهما اليابستيْنِ رذاذاً من زيت الكلمات : «ياندَاءَ اللانهائيِّ ، المُرشِدِ إلى البئر الأولى» .

استجمعا الريحَ في عِظام سيقانهما وهما يجرَّان خِطامَيِّ الجمليْن خلفهما . صعدا الكثيبَ ، فصعد بإزائهما تسعةُ أنفارٌ ، أقوياءُ الأيدي في لَكْزِ أعناقِ جِمالهم . التفُّوا حلقةً حول الرجلين . نوَّخوا جِمالَهم فبرَكَتْ مهذَّبةَ الطبائع . سقوهما ماءً يعيدون إليهما ثقةَ العَضَل بالرجاءِ العَضَلِ .

«من أين أنتما؟» ، سألهما رجلٌ طويلٌ ، بلغة أهل كيْنَادُوْ المُترنِّحةِ الحروف ، فردًا بألفاظٍ مُخْتَصَرة من اللغة ذاتها : «من سهوب كاروكشين» .

فَتَلَ الرجل الأكثر طولاً بين التسعة الأنفار ثلاثَ شعرات نابتةً على أرْنَبة أنفه بسبَّابته وإبهامه . طوَّق باكالبا وبالبور بعينيه المرتابتَيْنِ : «ماذا تحملان معكما؟» ، فردَّا :

ـ نحمل مالا يؤبَهُ له .

«يعجبني ، أبداً ، أن أُلقي نظرةً على مالا يؤبه له» ، قال بلسان المَكْر .

نوَّخ شخصان من التسعة الأنفار ، ذوي العباءات الجلدِ والعقودِ الوَدَعِ حول القبَّعات ، جَمَلَيْ باكالبا وبالبور . كمَّم الرجلُ الطويلُ أنفَه براحةَ يده : «ماذا فعلتما بهذه الأسْمنة؟» ، ساءلهما مشمئزّاً . أومأ إلى رهْطه : «أفرِغوا الخُرْجينِ» ، فأفرغوا الخُرجيْنِ عن أربع رقاعٍ لفائفَ ، وصندوق .

التقطَ الرجلُ الطويلُ لفافةً . حَلَّ الشريطَ المطوَّق وبَسَطَ الرقعَة منشورةً على فخذه . استدار بوجهٍ متجهِّمٍ إلى باكالبا وبالبور : «أين الرقاع الأخرى؟» .

«لا رقاعَ أخرى» ، أجابا .

نقل الرجلُ الطويل بصرَ عينيه المشقوقتين ـ عينيْ أم الريح ـ إلى صندوق الشطرنج . ابتسم ابتسامة المَكْرِ . استدنى رهطَه بإيماءة فتدانوا إليه . تهامسوا . فضُّوا حلقتَهم . حملوا الرقاعَ وصندوقَ الشطَرنج إلى خُرْج الرجل الطويل ، ذي القبعةِ الجلدِ المنسدلة الحواف على وجهه كقناع . صعدوا ظهورَ جِمالهم واستنفروها فتأهَّبتْ واقفةً .

نزَفَ العضلُ حِمْضاً في جسدَيْ باكالبا وبالبور . صفَّرتْ عظامُهما صفيرَ الذُّعر . جرَّا نَفْسيهما متضرِّعيْن إلى التسعة الأنفار : «لا تسلبونا متاعَنا هذا ، بحقِّ المغيب عليكم» .

تتبَّعا الجمالَ التسعةَ ماشيةً . دحرجا خطواتِ شظايا على الرمل والحجر مُعْتَصَرَيْن : «أعيدوا إلينا متاعَنا ، أو اقتلونا» ، قالا .
أوقفَ الرجلُ الطويل جَمَلَه . استدار إليهما :
ـ لا نقتل مَنْ لم يتدبَّروا لأنفسهم نبيّاً بَعْد .

اختبلتِ النُّظمُ الصغيرةُ في صحراء لوكهين ،
وأُغميَ على النُّظمِ الكبيرة .

سكوغوس ـ السويد
٢٠٠٦

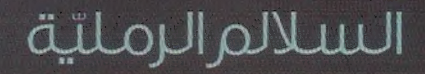
صدر للمؤلف

* كل داخل سيهتف لأجلي ، وكل خارج أيضاً (شعر)
* هكذا أبعثر موسيسانا (شعر)
* للغبار ، لشمدين ، لأدوار الفريسة وأدوار الممالك (شعر)
* الجمهرات (شعر)
* الجندب الحديدي (سيرة الطفولة) (سيرة)
* الكراكي (شعر)
* هاتِه عالياً ؛ هاتِ النَّفير على آخره (سيرة الصبا) (سيرة)
* فقهاء الظلام (رواية)
* بالشّبّاك ذاتها ؛ بالثعالب التي تقود الريح (شعر)
* أرواح هندسية (رواية)
* الريش (رواية)
* البازيار (شعر)
* الديوان (مجموعات شعرية في مجلد واحد) (شعر)
* معسكرات الأبد (رواية)
* طيش الياقوت (شعر)
* الفلكيون في ثلثاء الموت : عبور البشروش (رواية)
* الفلكيون في ثلثاء الموت : الكون (رواية)
* الفلكيون في ثلثاء الموت : كبد ميلاؤس (رواية)
* المجابهات ؛ المواثيق الأجران ؛ التصاريف ، وغيرها (شعر)
* أنقاض الأزل الثاني (رواية)

* الأقراباذين (مقالات في علوم النَّظر)
* المثاقيل (شعر)
* الأختام والسديم (رواية)
* دلشاد (فراسخ الخلود المهجورة) (رواية)
* كهوف هَايْذْرَاهُوْدَاهُوْس (رواية)
* المعجم (شعر)
* ثَاذْرِيْمِيْس (رواية)
* موتى مبتدئون (رواية)

THE SANDY LADDERS





قويٌّ كظلامٍ، كخيانةٍ، كجوعٍ، كيأسٍ، كبياضٍ، كقبرٍ، كوحدةٍ، كخيالٍ لا يعثرُ على كلمات.


ISBN 9953-36-970-4


المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
هاتفاكس: ٧٥١٤٣٨/٧٥٢٣٠٨
http://www.airpbooks.com